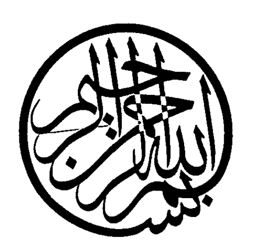
أحاديث
الشيخ محمد الغزالي
في ندوة لواء الإسلام
الجزء الأول

قدم لها وعلق عليها وخرّج أحاديثها

أ.د/ محمد حسن سبتان
أستاذ مساعد في كلية أصول الدين
بالقاهرة

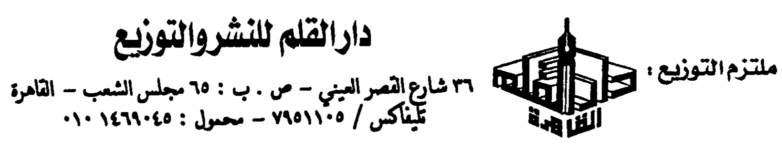
أ.د/ يسري عبد الخالق خضر
أستاذ مساعد في كلية أصول الدين
بطنطا



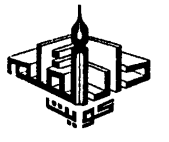


أحاديث
الشيخ محمد الغزالي
في ندوة لواء الإسلام
(١)

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م



ملتزم التوزيع :
دار القلم للنشر والتوزيع
٣٦ شارع القصر العيني – ص . ب : ٦٥ مجلس الشعب – القاهرة
تليفاكس / ٧٩٥١١٠٥ – محمول : ٠١٠ ١٤٦٩٠٤٥



الناشر :
دار القلم للنشر والتوزيع
شارع السور . عمارة السور . الدور الأول شقة ٨ . ص.ب ٢٠١٤٦ الصفاة
هاتف : ٢٤٥٧٤٠٧ / ٢٤٥٨٤٧٨ . فاكس : ٢٤٢٥١٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم حق حمده، وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد رسوله، وعبده، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان من بعده، وعلينا معهم راجين من ا لله تعالى كريم عفوه.

أما بعـــد،

فقد احتوت المكتبة الإسلامية على مجلات نافعة مفيدة كالمنار، والفتح، والزهراء، والأزهر، والمسلمون، وحضارة الإسلام، والبيان، وإسلامية المعرفة ... إلخ، والقارئ يراها من أهم مصادر الثقافة الإسلامية، وكيف لا وهي جزء من تاريخ أمتنا ودعوتنا، وتجلي لنا جوانب من ثقافتنا لا غنى لنا عنها، وتضم بين صفحاتها دررًا لا يصل إليها القارئ في مصادرها الأصلية إلا بشق الأنفس.

كما أنها أحيانًا تعرض لمسائل ومباحث من العلم لا تكاد توجد بيسر إلا فيها، يدرك ذلك من أمعن النظر فيها.

ولما كانت - تلك المجلات - قد حيل بين كثير من القراء وبينها:

١- لطولها وضخامة حجمها.

٢- لقلة تداولها، وندرة وجودها في المكتبات ولارتفاع ثمنها.

٣- لكثرة مشاغل وهموم الناس في عصرنا.

فقد عقدنا العزم على جمع كلمات الشيخ/ محمد الغزالي التي ألقاها في ندوة «لواء الإسلام» التي كانت تضم ثلة من جهابذة الفقهاء، وأساطين الدعوة، وعمالقة الفكر، لما يلي:

١] أن كلمات الشيخ الغزالي لم تجمع في كتاب بخلاف خطبه ومحاضراته[1].

---

(١) نهض مشكورًا الدكتور الشيخ/ قطب عبد الحميد قطب - حفظه ا لله - بجمع خطب ومحاضرات الشيخ/ الغزالي. وتصدر عن دار الاعتصام.

٢] أنها تضم أفكارًا وآراء حسنة للشيخ في مسائل عصرية وفقهية واجتماعية.

٣] نرجو من ورائها إغراء الشباب بمطالعة الأصل، وقد رأينا أن نوالي نشر هذه الكلمات في أجزاء لتكون بين أيدي أهل العلم والدعاة.

ولما كان الشيخ الغزالي يتحدث شفهيًّا فقد احتاجت الكلمات إلى تعليقات يسيرة، تعين على فهم المقصود.

عملنا في الكتاب:

١) قدمنا بتعريف للشيخ محمد الغزالي، الأول بقلمه، والثاني للشيخ/ طه جابر العلواني – حفظه الله – .

٢) عزونا الآيات والأحاديث والآثار إلى مواطنها باختصار.

٣) ضبطنا ما يحتاج إلى ضبط.

٤) علقنا على ما رأيناه يحتاج إلى تعليق في إيجاز.

هذا، وإنا لنرجو أن نكون بهذا العمل قد قمنا بواجب المحبة والوفاء لشيخنا محمد الغزالي، سائلين الله تعالى أن يرفع درجته وأن يلحقه بالأنبياء والصالحين.

ومن الوفاء أن نتقدم بالشكر والتقدير للأخوة القائمين على المكتبة المركزية لجامعة الملك خالد – بأبها، ولا أسمي منهم أحدًا، ليكون جزاؤهم من الله سبحانه وتعالى – صاحب الجزاء الأوفى.

وختامًا نعترف بأن هذا العمل لن يخلو من الوهم والزلل والخطأ، وسبحان من تفرد بالكمال. ونضرع إلى الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص والقبول إنه سميع مجيب.

أ. د/ محمد حسن سبتان　　　　أ. د/ يسري محمد عبد الخالق

والدي – رحمه الله – كان يحب شيخ الإسلام أبي حامد الغزالي، وكان عاشقًا للتصوف يحترم رجاله ويختار من مسالكهم ما يشاء، لأنه كان حافظًا للقرآن جيد الفهم لنصوصه، ويروي أبي لأصدقاء الأسرة أن تسميتي «محمد الغزالي» جاءت عقب رؤية منامية وبإيحاء من أبي حامد – رضي الله عنه –، وأيًا ما كان الأمر فإن التسمية اقترنت بشخصي ولكنها لم تؤثر في تفكيري، فأنا أنتفع من تراث أبي حامد الغزالي صاحب «تهافت الفلاسفة»، كما أنتفع من تراث خصمه ابن رشد صاحب «تهافت التهافت»، وإذا كان الغزالي يحمل دماغ فيلسوف، وابن تيمية يحمل رأس فقيه فإنني أعتبر نفسي تلميذًا «لمدرسة الفلسفة والفقه معًا».

ولدت سنة ١٣٣٦هـ الموافق سنة ١٩١٧م، ونشأت في بيئة متدينة بين إخوة سبعة، وكنت أكبرهم، ووالدي كان تاجرًا صالحًا، وهو الذي وجهني إلى حفظ القرآن، بل إن من فضله عليّ أن باع ما يملك لكي يذهب بي أو يذهب معي إلى أقرب مدينة يقع فيها معهد أزهري، حيث هاجر من قريته «نكلا العنب» بمحافظة البحيرة إلى الأسكندرية كي أنتسب إلى الأزهر وعمري عشر سنوات.

وطفولتي كانت عادية ليس فيها شيء مثير وإن كان يميزها حب القراءة، فقد كنت أقرأ كل شيء، ولم يكن هناك علم معين يغلب عليّ ... بل كنت أقرأ وأنا أتحرك، وأقرأ وأنا أتناول الطعام.

أهمية القراءة:

وللقراءة أهمية خاصة لكل من يدعو إلى الله بل هي الخلفية القوية التي يجب أن تكون وراء تفكير الفقيه والداعية، وضحالة القراءة أو نضوب الثقافة تهمة خطيرة للمتحدثين في شؤون الدين، وإذا صحت تزيل الثقة منهم.

إن القـراءة أي الثقافـة هي الشـيء الوحيـد الذي يعطي فكـرة صحيحـة عـن العالم وأوضاعـه وشؤونه، وهـي التي تضع حدودًا صحيحـة لشتى المفـاهيم، وكثيرًا ما يكون قصور الفقهاء والدعاة راجعًا إلى فقرهم الثقافي.

والفقر الثقـافي للعـالم الديني أشـد في خطورتـه مـن فقر الدم عند المريـض وضعاف الأجسـام... ولابد للداعيـة إلى الله أن يقرأ في كل شـيء، يقـرأ في كتب الإيمان ويقرأ الإلحـاد، يقرأ في كتب السـنة كما يقرأ في الفلسـفة، وباختصـار يقرأ كل منازع الفكر البشري المتفاوتة ليعرف الحياة والمؤثرات في جوانبها المتعددة.

تأثرت بالشـيخ: عبد العظيم الزرقاني الـذي كان مدرسًـا بكلية أصول الدين، وهو صاحب كتاب «مناهل العرفان في علوم القرآن»، وكان عالمًا يجمع بين العلم والأدب، وعباراته في كتابـه المذكور تدل على أنه راسـخ القدم في البيان وحسـن الديباجة ونقاء العرض.

وفي معهد الإسـكندرية الديني تـأثرت بالشـيخ: إبراهيـم الغربـاوي، والشـيخ: عبد العزيـز بلال، وكانا يشتغلان بالتربيـة النفسـية، ولهم درجـة عاليـة في العبادة والتقوى، وكانا يمزجـان الدرس برقابـة الله وطلب الآخرة وعدم الفتنـة بنيل الإجـازات العلمية؛ لأن للألقاب العلمية طنينًا ربما ذهب معه الإخلاص المنشود في الدين.

وقد تأثرت أيضًا بالشـيخ: محمود شـلتوت الذي أصبح فيمـا بعد شيخًا للأزهر، إذ كان مدرسًا للتفسـير، وله قدرة ملحوظة في هذا المجال إلى جانب رسوخ قدمه في مجال الفقـه وعلـوم الشـريعة إجمـالاً، وقد كـان - رحمه الله - شـخصية عالميـة بارزة يلتف حولها الكثيرون.

أما تأثري الأكبر فقد كان بالإمام الشهيد/ حسن البنا، وكان عالمًا بالدين كأفقه ما يكـون علماء العقيـدة والشـريعة، وكـان خطيبًـا متدفقًا ينسـاب الكلام منـه أصولاً لا فضولاً وحقـائق لا خيـالات، وكـان حسـن البنـا يدرك المرحلـة الرهيبـة التي يمـر بها

الإسلام بعدما سقطت خلافته وذهبت دولته ونجح المستعمرون شرقًا وغربًا في انتهاب تركته، فكان الرجل يعارض هذا الطوفان المدمر عن طريق تكوين الجماعات التي تعتز بدينها وتتشبث بالحق مهما واجهت من متاعب أو عوائق أو ويلات.

حسن البنا كان صديقًا لكل من يلقى من أهل الإيمان، فتغمرك بشاشته عندما تراه وتشعر كأنك أصبحت صديقًا أثيرًا لديه، وكان يضن بوقته على اللغو فما تمر ثانية ولا أقول دقيقة إلا وهو يخدم الإسلام بكلمة أو توجيه أو عمل نافع أو دعابة لطيفة تربط بين القلوب.

وذاكرة حسن البنا كانت حديدية وكأنها شريط مسجل يستوعب الأسماء والمعاني، فلو التقيت به وناقشت معه إحدى القضايا، أو ذكرت له اسم إخوتك مثلاً ثم لقيته بعد ذلك ببضع سنين لبادرك بالسؤال عن إخوتك وناقشك في القضية التي طرحتها عليه منذ سنين واسترجع معك الحديث وكأنه تم بالأمس القريب.

والحق أن الرجل كان يحب عن إخلاص لا عن تكلف، وربما عانق عاملاً يلبس بدلة الشغل الملوثة بشحوم الآلات وسوائلها، فما يحجزه شيء من ذلك عن ترجمة حبه. وحسن البنا له عبقريات منوعة يحتاج الكلام فيها إلى كتاب مفرد.

مدرستي الخاصة :

المدرسة التي اعتبر نفسي رائدًا فيها أو ممهدًا لها تقوم على الاستفادة التامة من كل الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفقهية في التاريخ الإسلامي، كما ترى الاستفادة من كشوف الفلسفة الإنسانية في علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتاريخ ومزج هذا كله بالفقه الصحيح للكتاب والسنة.

إن الرؤية الصحيحة لأحكام الشريعة أو الحكم الصائب الذي ينبغي تقريره لا يتم إلا مع رحابة الأفق ووجود خلفية عظيمة من المعرفة القديمة وحدّة الذكاء ما يجعلهم قادرين على حسن الفهم والحكم، ولكننا في العصر لا نصل إلى مستواهم إلا بعد

دراسات مضاعفة كما يستعين صاحب النظر القصير بالمناظير المقربة حتى يعرف ما يقرأ أو حتى يدرك من بعيد ما لا يستطيع رؤيته بالعين المجردة.

تجاربي في الدعوة :

تخرجت من الأزهر سنة ١٣٦٠هـ الموافق ١٩٤١م، ومنذ ذلك الوقت وأنا أعمل في خدمة الإسلام دعوة وتدريسًا.

وفي رأيي أن الدعاة إلى الله، في هذا العصر غيرهم في العصور الماضية ... قديمًا كانوا يدركون حظًّا من النجاح بمعرفة محدودة وتقوى ظاهرة.

أما في هذا العصر فإن أعداء الإسلام قد تضاعف نشاطهم ونمت أحقادهم وكثرت العقبات التي وضعوها في طريق الدعاة، واستطاعوا استغلال التفوق الحضاري لوقف الزحف الإسلامي في أقطار كثيرة، بل ولعلهم استغلوا ثراءهم وقدرتهم في فتنة طوائف من المسلمين في إفريقيا وآسيا وأوروبا؛ ولذلك لا يكفي أن تعمل أجهزة الدعوة الإسلامية بل ولابد أن تكون من ورائها خدمات شتى اجتماعية وصحية وتعليمية وثقافية... إلخ.

شروط الداعية :

والدعوة إلى الله لا يصلح لها بداهة أي شخص ... إن الداعية المسلم في عصرنا هذا يجب أن يكون ذا ثروة طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية، بمعنى أن يكون عارفًا للكتاب والسنة والفقه الإسلامي والحضارة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يجب أن يكون ملمًا بالتاريخ الإسلامي وعلوم الكون والحياة والثقافات الإنسانية المعاصرة التي تتصل بشتى المذاهب والفلسفات.

ويجب على من يدعو إلى الله أن يتجرد لرسالته التي يؤديها فتكون شغله الشاغل، وعليه أن يعامل الناس بقلب مفتوح فلا يكون أنانيًّا ولا حاقدًا ولا تحركه النزوات

العابرة ولا ينحصر داخل تفكيره الخاص فهو يخاطب الآخرين وينبغي أن يلتمس الأعذار للمخطئين وألا يتربص بهم بل يأخذ بأيديهم إذا تعثروا، ويحتاج الداعية المسلم في هذا العصر إلى بصر بأساليب أعداء الإسلام على اختلاف منازعهم سواء كانوا ملحدين ينكرون الألوهية أو كتابيين ينكرون الإسلام.

وقد لاحظت أن هناك أصنافًا من الناس في ميدان الدعوة تسئ إلى الإسلام أشد الإساءة، منهم الذي يشتغل بالتحريم المستمر فلا تسمع منه إلا أن الدين يرفض كذا وكذا دون أن يكلف نفسه أي عناء لتقديم البديل الذي يحتاج إليه الناس ... وكأن مهمته اعتراض السائرين في الطريق ليقفوا مكانهم دون أن يوجههم على طريق آخر أرشد وأصوب.

وهناك دعاة يعيشون في الماضي البعيد وكأن الإسلام دين تاريخي وليس حاضرًا ومستقبلاً، والغريب أنك قد تراه يتحامل على المعتزلة والجهمية مثلاً، وهو محق في ذلك ولكنه ينسى أن الخصومات التي تواجه الإسلام قد تغيرت وحملت حقائق وعناوين أخرى.

وهناك دعاة آخرون لا يفرقون بين الشكل والموضوع أو بين الأصل والفرع، أو بين الجزء والكل فهم يستميتون في الإنكار بأي شكل من الأشكال ويبددون قواهم كلها في محاربة هذا الشكل، أما الموضوع فهم لا يدرون ماذا يصنعون إزاءه، وهؤلاء عقلية لا تتماسك فيها صور الأشياء بنسب مضبوطة ولذلك قد يهجمون شرقًا على عدو موهوم، ويتركون غربًا عدوًّا ظاهرًا بل ربما حاربوا في غير عدو ...

وهؤلاء وأولئك عبء على الدعوة الإسلامية يجب إصلاحهم كما يجب إصلاح الذين يدخلون ميدان الدعوة بنية العمل لأنفسهم لا لمبادئهم، فإن العمل الذي يستهدف القيم الإسلامية غير العمل الذي يدور حول المآرب الشخصية.

تبين لي بعد أربعين سنة من العمل في الدعوة الإسلامية أن أخطر ما يواجه العمل

الإسلامي هو التدين الفاسد، أي استناد النفس إلى قوة غيبية وهي تعمل للخرافات والأوهام، أو هي تعمل للأغراض والمآرب...

الدين مثلاً يقظة عقلية وهؤلاء يعانون تنويمًا عقليًّا متصلاً، والدين قلب سليم وهؤلاء قد استولت على قلوبهم علل رديئة.

والأمر في كشف التدين الفاسد يحتاج إلى تفاصيل للتعامل مع الآفات النفسية والعقلية التي تسبب هذا البلاء، وقد خصص أبو حامد الغزالي جزءًا ضخمًا من كتابه «الإحياء» في علاج هذه الآفات والتحذير منها، كما وضع ابن الجوزي كتاب «تلبيس إبليس» للكشف عن صور التدين الفاسد وإبعاد العامة والخاصة عنه.

وقد ألفت بعض كتبي وأنا مستغرق في محاربة هذا الجانب من التدين المعلول سواء كان رسميًّا أو شعبيًّا مثل كتاب «تأملات في الدين والحياة» وكتاب «ليس من الإسلام» وكتاب «ركائز الإيمان بين العقل والقلب» وأخيرًا كتابي «الدعوة الإسلامية تستقبل القرن الخامس عشر».

والحقيقة أن التدين الفاسد سر انحراف كثير من العقلاء لأنهم ينظرون إلى الدين من خلال مسالك بعض رجاله وآثارهم في الحياة العامة، والواقع أن بعض المتدينين كانوا في القديم والحديث بلاء على الدين.

وبدأت الكتابة منذ الشباب الباكر، وكانت هواية عندي ورغبة أجد الراحة في تحقيقها، ولم أتوجه إلى الكتابة الدينية إلا بعد أن اشتغلت بالدعوة الإسلامية ... وقد سلكت في الكتابة الدينية منهجًا يجمع بين العلم والأدب، مع عرض الثقافة الإسلامية عرضًا ممزوجًا بقضايا العصر الحاضر، ويمكن القول أن هناك عدة محاور رئيسية دارت حولها كتبي الخمسة والثلاثون[1] التي وضعتها في الأربعين عامًا الماضية: (الإيمان والعقل والقلب)، (والإسلام والطاقات المعطلة).

(١) كان هذا حين كتابة هذا التعريف - أما الآن فكتبه أكثر من ذلك.

تفسير جديد للقرآن الكريم:

وأحب أوقات الكتابة إليّ بعد صلاة الفجر .. عند هذا الوقت أشعر باجتماع فكري ويقظة أعصابي وقدرتي على إفراغ ما في نفسي فوق الصفحات، ويغلب أن تكون الكتابة الأولى هي الأخيرة، وقلما أمحو منها أو أزيد عليها إلا القليل بل قلما أعود إلى قراءة كتاب أصدرته أى إذا كانت هناك حاجة ملحة في ذلك، كمناقشة له أو حوار حوله.

وأتمنى أن أكتب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم[١]، فكل سورة من القرآن وحدة متماسكة تشدها خيوط خفية تجعل أولها تمهيدًا لآخرها، وآخرها تصديقًا لأولها، وتدور السورة كلها على محور ثابت، وأتمنى وضع كتاب جامع في ذلك[٢].

* * *

(١) حقق الله هذه الأمنية للشيخ فكتب «التفسير الموضوعي للقرآن الكريم». ط/ دار الشروق.
(٢) نقلنا هذه الترجمة من تقديم خطب الشيخ محمد الغزالي. جمع وإعداد الشيخ د/ قطب عبد الحميد.

شيخنا محمد الغزالي رحمه الله
وصفحات من حياته[1]

حين يذكر الشيخ محمد الغزالي تتبادر إلى الأذهان جملة من خصال قلّ أن تتوافر كلها أو تجتمع بجملتها في عَالِم معاصر، ومن هذه الخصال الحميدة:

١- الاجتهاد القائم على سعة الإسلام ومرونته ومقاصد شريعته وكليات مصادره، وغاياته العليا.

٢- السماحة والاعتدال اللذان ينبهان بوضوح إلى الفهم الدقيق لـ «وسطية الإسلام»، والإدراك العميق لقيمه العليا (التوحيد والعمران والتزكية)، والفقه المستفيض في معيار الإسلام الأساس (العدل) الذي منه انبثق «الاعتدال»، واشتقت «الوسطية».

٣- الغيرة الصادقة على «الأمة القطب» التي انتمى إليها بعقله وقلبه ووجدانه فضلاً عن دمه وجسده، غيرة صادقة على دينها وأرضها وعرضها وأبنائها وماضيها وتاريخها وحاضرها ومستقبلها ووحدتها.

٤- القدرة النقدية والطاقة العقلية، والمعرفة المتنوعة الواسعة، والذكاء الخارق اللماح، والطاقة المتجددة المتطلعة - على الدوام - إلى معرفة الجديد والمزيد في كل ما من شأنه أن يخدم هذه الأمة وقضاياها المتشعبة.

٥- الحب والوفاء لربه ونبيه ودينه وأمته ورفاقه وتلامذته، يساعده على ذلك قلب كبير نقي من الغل والحقد والحسد والبغضاء والكراهية، خالص الإيمان والحب والوفاء.

---

(١) بحث بقلم أ. د/ طه جابر العلواني، بمجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية، العدد السابع.

ذلك إلى خصال أخرى كثيرة تحدث عنها المتحدثون من محبيه وتلامذته وعارفي فضله قبل أن يرحل عن دنيانا وبعد ذلك.

ولا أود أن أعيد شيئًا مما قالوه، ولكنني أود أن أفتح صفحات معدودة من حياته الحافلة، لأن فيها من الدروس والعبر ما هو جدير بالإذاعة والإشاعة. وسأبدأ بالعلاقة الوثيقة التي ربطت بين **الشيخ الغزالي** و«المعهد العالمي للفكر الإسلامي»، وما كان لها من أثر في بعض توجهاته الفكرية.

بدأت صلة **الشيخ الغزالي** بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي بعلاقات الصداقة الوثيقة والحميمة التي ربطت بينه وبين رجال المعهد ومؤسسيه قبل أن يؤسس رسميًّا في الولايات المتحدة الأمريكية.

فالشهيد الدكتور **إسماعيل الفاروقي** قد اتصلت أواصر الصداقة بينه وبين الشيخ - رحمه الله - منذ أن ترجم إلى اللغة الإنجليزية كتابه (**من هنا نعلم**) الذي رد **الشيخ** فيه على كتاب (**من هنا نبدأ**) للشيخ خالد محمد خالد - رحمهم الله جميعًا - يقول الشهيد الفاروقي: «قد اطلعت على الكتابين: من هنا نبدأ، ومن هنا نعلم، وأعجبت برد الشيخ أسلوبًا ومضمونًا، وقررت أن أترجم الكتاب لقراء الإنجليزية ليعرف الأمريكان موقف المسلمين الحقيقي من الشيوعية والاشتراكية ونحوها، ففعلت ذلك بعد استئذان **الشيخ** الذي سر بذلك وسعد به».

وحين استشهد **الدكتور الفاروقي** غيلة عام ١٩٨٦م **نعاه الشيخ الغزالي** إلى الأمة في بعض الصحف التي كان يكتب لها، وذكر أن الشهيد كان صديقًا عزيزًا له، وأنه أول من قدمه إلى قراء الإنجليزية في ترجمة كتابه ذاك، وأشار إلى خسارة الأمة باستشهاده.

كما أن علاقة مودة وإخاء كانت قد ربطت بين الشيخ - رحمه الله - والأخ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان قبل سفر الشيخ إلى السعودية، وزادت تلك الصلة

وثوقًا بعد ذلك واستمرت حتى وفاة الشيخ عليه رحمة الله .

أما كاتب هذه السطور فقد بدأت علاقته بالشيخ في وقت مبكر امتد من أيام دراسته في الأزهر واستمر حتى وفاة الشيخ.

العودة إلى مصر :

وحين لاحظ بعض المهتمين ما كان يجري في مصر وفي العالم العربي من اضطراب فكري مع فقدان المرجعية الرشيدة، والفراغ الكبير، كان الشيخ الغزالي في مقدمة الأسماء القليلة التي تحضر إلى الذهن لشغل ذلك الفراغ وملء موقع المرجعية.

كان بعض محبي الشيخ وتلامذته يرون أن لا يعود الشيخ من الجزائر إلى مصر إلا شيخًا للأزهر أو مرشدًا عامًا للإخوان المسلمين، فمنصب شيخ الأزهر خاصة بثقله التاريخي، وسمعته الدينية حين يحتله شخص بوزن الشيخ الغزالي ومستوى حضوره ستعود إليه مكانته في الداخل والخارج، وسيتمكن من استقطاب البقية الباقية من العلماء ليعطي للأزهر من جديد آفاقه العالمية، ووظيفته القيادية. وصفات الشيخ ومناقبه الشخصية، وقدراته الخطابية والكتابية وسمعته وصيته، كل ذلك سيكون رصيدًا فعالاً في تحقيق هذا الهدف، وفي تحريك كثير من المؤسسات الإسلامية الأخرى التي قد يسهم تحريكها في إعادة مصر لممارسة أثر إسلامي مهم في الداخل والخارج؛ وقد يقضي ذلك على الكثير من أسباب التأزم بين الإسلاميين والنظام داخل مصر.

وحين بدأ بعضهم مساعيهم الحميدة لإقناع القيادة السياسية بهذه الفكرة تضافرت عدة تيارات متذرعة لأسباب عديدة لإحباط هذه المحاولة: منها أن تاريخ الشيخ الحافل بالكفاح على جبهات عديدة أوجد كثير من المخاوف من أن الشيخ قد يحرك كل هذه المؤسسات التي ألفت أن يكون على قمة الهرم فيها رجال لا تتجاوز اهتماماتهم الدائرة العلمية المتخصصة بكثير، أما الشيخ الغزالي فمن المتعذر لشخص مثله أن يحصر اهتماماته بهذه الدائرة، فطبيعة الداعية فيه والهموم التي يحملها، وتتبعه لقضايا الإسلام

والمسـلمين في سـائر بقـاع الأرض، كل ذلك سـيتغلب على طبيعـة المنصب، فهم من تلامـذة الحركـة الإصلاحيـة الذين لم يكونـوا يعرفون الفواصـل بين الشـأن الدعوي والشأن السياسي والاجتمـاعي، فكل هموم الأمة همومهم، وكل ثغورها يجب أن تجد من يقف عليها.

ولم ينس لـه بعض المعـارضين لتسـلمه المشـيخة آنذاك ملاحظاتـه حول الدسـتور المصري، فقـد كان مـن أبرز أسـباب خلافـه مع نظـام يوليو في مراحلـه الأولى تعطيل دسـتور ١٩٢٣م؛ فهو لم يقتنع بما اقتنع بـه بعض قـادة الإخوان آنذاك، من أن تعطيل الدستور قد تم لأن رجال الثورة يريـدون وضع دستور يجسـد المبادئ والقيم الإسلامية ويسـهم الإخـوان في صياغتـه. وحتى بعد أن تم تشـكيل لجنـة الخمسـين عضوًا لوضع الدستور الجديد لم تهدأ مخاوف الشيخ، وأشار إلى خطورة أن تبقى البلاد بدون دستور ولو ليوم واحد، ودافع عن كثير من مواد ذلك الدستور المعطل، كما اعترض بعد ذلك على مـا أدخل على الدستور من تعديـلات في عهد رئيس مصر الراحل أنور السادات. ولم يتردد الشـيخ في إبداء اعتراضـه المعلن وموقفه المعارض لزيـارة الرئيس السادات إلى القدس، ولم يخف نقده لقانون الأحوال الشخصية الذي صدر في عهده.

كذلك اعتـبرت أجهـزة الأمن الشـيخ محرضًـا على مظـاهرة إسـلامية انطلقت من الأزهـر وبقيـادة بعـض شـيوخه ردًّا على مظـاهرة علمانيـة مؤيدة لقـانون الأحوال الشـخصية في القـاهرة آنـذاك، ولم ينس بعضهـم نقـده اللاذع للممارسـات والأخطاء الحكوميـة التي أدت إلى هزيمـة حزيران (يونيو) عـام ١٩٦٧م؛ ممـا دفع الرئيس الراحل أنور السـادات إلى إصدار أمر باعتقاله أثنـاء وجوده خارج مصـر في الجزائر للمشاركة في ملتقى إسلامي فيها.

المهم أن هذه الأمـور - كلها - مع طبيعـة المرحلـة ومتغيراتها المختلفـة حالت دون قبول فكرة تعيين الشيخ الغزالي - رحمه الله - شيخًا للأزهر الشريف.

الغزالي ومنصب المرشد :

أما الاقـتراح الثاني فقد حـالت دون قبولـه - كذلك - بعض الأسـباب؛ فالاقتراح كان يستند أساسًا إلى كون الشيخ واحدًا من أعضاء الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين الأحيـاء في ذلك العهد، وإلى أن مكانته العلمية وشخصيته وسمعته سيكون عائدها خيرًا على الجماعـة قد يسـمح بإيجاد علاقات طبيعيـة مفتوحـة مع نظام الحكم في مصر ومع النظـم الأخرى خارجها. وقد يسـمح كذلك بانفتـاح الجماعة على التيـارات السياسية المختلفة، وينقـي سمعة الجماعة من سائر مـا علق بها أثناء اختلافها وصراعاتها مع نظام الرئيس جمال عبـد الناصر. وكـان هنـاك اعتقاد بـأن صفات الشـيخ وطبيعتـه المنفتحة ستسهل إعادة توحيد الصفوف الإسلامية في مصر وبناء الجبهة الداخلية، وتنهي مرحلة الفصام بين رجال الفكر والدعوة، ورجال الفقه والحركة.

أما الاعـتراض على هذه الفكرة فقد كان يسـتند إلى أن الشيخ الغزالي وإن كان من أعضاء الهيئـة التأسيسـية للجماعة، إلا أنه ليـس الأسنّ بينهم؛ فالأسـتاذ محمد حامد أبو النصر - رحمه الله - كان أسن منه، كما أن فترة سجنه لم تطل كما طال سجن غيره بسـبب تخليـه عن معارضـة الرئيس عبد النـاصر. وقد اعتبر اختلافـه مع المرشـد حسـن الهضيبي - رحمـه الله - وفصلـه من الجماعـة عـام ١٩٥٣م بعد سـبعة عشـر عامًا من العمل داخلها، دليلاً على عدم الانضباط، وعدم الالتزام بالقواعد التنظيمية.

ومـع أن ذلك - كلـه - قد نوقـش، وبيَّن الذين تبنوا فكرة ترشـيح الشـيخ الغزالي لمنصب المرشد ضعف ما ذكر من اعتراضات، وتهافته أمام الفوائد الكبيرة التي يمكن أن تجنيها الجماعة، بل والعمل الإسـلامي بصفة عامة مـن اختياره مرشدًا للجماعة، إلا أن المحاولـة قد أخفقـت، وانتهت بـالرفض التـام. ولم يشـفع للشـيخ تتلمذه المخلص على الأستاذ الشهيد حسن البنا، وانفعاله الكامل بشخصيته، حتى إنه ليكاد يتمثل شخصيته فضلاً عـن هضمـه لفكره، واسـتيعابه لعلومـه وآدابـه. وهـؤلاء كـان من بينهم من إذا جلسـوا مجالس المراجعة لتـاريخ الأمة كثيرًا ما يتمنـون لو أن أمير المؤمنين عليًّا جاء بعد

أمير المؤمنين عمر دون فواصل، ويؤكدون أنه لو حدث هذا لتغير تاريخ الأمة، ولتغير حالها. ومع سائر الفوارق التي لا تحصى، هل لنا أن نقول: لو أن رجلاً بوزن الشيخ الغزالي – رحمه الله – تسنم زمام إرشاد هذه الجماعة خلال السبعينيات وما تلاها لكان الحال غير الحال !! ولكن قدّر الله وما شاء فعل .

تتلمذه على دروس الشهيد حسن البنا :

قد لا يدرى الكثيرون أن خطب الشيخ الغزالي ودروسه في الأزهر وفي جامع عمرو ابن العاص وغيرهما من المساجد في القاهرة وغيرها من مدن مصر ومحاضراته في الجيش المصري قبل ١٩٧٣م وفي طلاب الجامعات المصرية ، وكذلك دروسه في جامعة أم القرى وفي الجزائر ما كانت إلا تلخيصًا دقيقًا لدروس الشهيد حسن البنا خاصة، ودروس قادة التيارات الإصلاحية من أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن، مع ما يضيفه الشيخ من فيض علومه وصائب فكره، ولذلك كان رحمه الله ينفعل بما يقول أكثر مما ينفعل به سامعوه!!

الشيخ والمعهد العالمي للفكر الإسلامي :

وكان يمكن للشيخ ـ بعد إخفاق المسعيين الآنفي الذكر ـ أن يعيش خارج مصر أستاذًا في جامعة من الجامعات، يبث أفكاره وتجاربه، وخبراته بين طلابه ومريديه فيمتلىء وقته، ويشعر بالسعادة التي يحتاجها ليستمر في حالة الإنتاج والعطاء. إلا أن القائمين على أمر المعهد رأوا أنه لابد من البحث عن بديل للشيخ، والعمل على استقراره في مصر، بحيث تُهيأ له في حدود الإمكانات المتواضعة للمعهد سبيل البقاء فيها . فالجميع كانوا يعرفون مزايا الشيخ ويقدرونها، ويدركون أن فاعلية هذه المزايا ستتضاعف أضعافًا كثيرة بوجوده في مصر، فهناك ارتباط وثيق بين شخصية الشيخ الغزالي وشخصية مصر، وعبقرية الرجل وعبقرية المكان ـ كما يقول الجغرافي المصري جمال حمدان. وكلفني مجلس أمناء المعهد بالعمل على تحقيق ذلك فسافرت إلى الشيخ

وفاتحته بالأمر، وشرحت له أبعاده كلها .

فهش رحمه الله لذلك وبش، وقدَّر العرض كثيرًا ودعا للمعهد وللقائمين عليه، ورأى المعهد وفكره امتدادًا حقيقيًّا لمسيرة الحركة الإصلاحية. وتم التفاهم على جدول زمني يعود الشيخ فيه إلى مصر، ليكون رئيس المجلس العلمي لمكتب المعهد فيها، وواحدًا من أبرز مستشاريه وموجهي مسيرته .

وقد كان المجلس العلمي لمكتب المعهد في القاهرة يضم نخبة من المفكرين، لا على مستوى مصر وحدها، بل على مستوى أعم وأشمل. فقد كان هذا المجلس يضم الأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد، والأستاذ المستشار طارق البشري، والأستاذ الدكتور محمد عمارة، والأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتي والأستاذ الدكتور محمد سليم العوا، والأستاذ الدكتور جمال الدين عطية ، ثم انضم إليه الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري، والأستاذة الدكتورة زهيرة عابدين، يضاف على هؤلاء مجموعة من الأساتذة الخبراء الذين للمجلس أن يدعوهم للاستماع إلى آرائهم إذا ما عرضت أمور تحتاج إلى خبرات أو تخصصات إضافية .

وكان هذا المجلس يجتمع شهريًّا ـ أو كلما دعت الحاجة ـ في مكتب الشيخ الغزالي الذي يقع تحت منزله ، وقد كانت تلك المرحلة مرحلة إنتاج خصب على مستوى الندوات والمحاضرات والبحوث، وكان الشيخ واسطة العقد في كل تلك النشاطات قل أن يتخلف عن ندوة أو محاضرة أو لقاء .

وفي هذه المرحلة أعد الشيخ دراساته القيمة في كيفية التعامل مع القرآن، وكيفية التعامل مع التراث الإسلامي، وقضايا الفنون وموقف الإسلام منها، وكثير من القضايا الأخرى.

وصدر له عدد من الكتب المهمة هي: كيف نتعامل مع القرآن، والسنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، والتفسير الموضوعي، وتراثنا الفكري في ميزان الشرع

والعقل، وما يقرب من ألف محاضرة ومقالة صغيرة وكبيرة.

وقد كان أهم ما تميز فكر الشيخ الغزالي به في هذه المرحلة أن صار فكرًا كثيرًا ما يتعرض للحوار والمناقشة الجماعية من خلال لقاءات المعهد وندواته ومجالسه قبل أن يصوغه الشيخ ويضعه في قالبه الأخير.

وهذه ميزة لم تتوافر لفكر الشيخ في كتبه الأخرى إلا في فقه السيرة، وما ورد فيه من الأحاديث، ودراسات محدودة أخرى جرى أعدادها أثناء التعليم والتدريس، سواء في السعودية أو في الجزائر أو في زيارته لقطر.

وفي تلك المرحلة المباركة من عمر الشيخ، أتيح له تسجيل أهم خبراته أثناء حياته الحافلة بالعطاء. فقد قرر المعهد تنفيذ مشروع لتسجيل خبرات جملة من أعلام العصر وخلاصة تجاربهم في الحياة بالصوت والصورة، على أن يتم استخلاص تلك الخبرات والتجارب بحوارات علمية مكثفة يقوم بها أساتذة محاورون أكفاء بعد دراسة مستفيضة في تراث من يجري الحوار معه وإنتاجه العلمي. وتقرر البدء بكل من الشيخ الغزالي والدكتور زكي نجيب محمود، وجمعت كتب الشيخ وقدمت لمجموعة من أفضل المفكرين لدراستها أولاً، ليقوموا بمحاورة الشيخ في أفكاره، ويتتبعوا مسيرة حياته العلمية والفكرية ويبرزوا جوانب مختلفة من مقومات شخصيته ومكوناتها، وكان من بين من حاوروا الشيخ الأستاذ المستشار / طارق البشري، والأستاذ الدكتور محمد سليم العوا، والأستاذ الدكتور محمد كمال إمام، والأستاذ الدكتور جمال الدين عطية، والأستاذ الدكتور محمد عمارة، والأستاذة صافيناز كاظم. وقد أربت هذه التسجلات المصورة على خمس عشرة ساعة تولت بالتحليل والحوار أهم جوانب حياة الشيخ الحافلة؛ ولعل من أهم ما ورد فيها أنها عالجت «ما وراء» فكر الشيخ الذي دون في كتبه ودروسه ومقالاته، كما أنها تعرضت لتقديم تفسيرات مباشرة وصريحة لكثير من الأحداث والمواقف التي لم يعرف المتصلون بحياة الشيخ أو معظمهم تفسيرًا صريحًا لها.

وقد اشتملت تلك التسجيلات على نوع من ممارسة النقد الذاتي والمراجعات التي لم تعد معطيات عصرنا تسمح بها أو تتسع لمثلها حيث ساد التعالم الكاذب، والإصرار على المواقف حقها وباطلها؛ لكن الشيخ - رحمه الله - رجل أواب، سرعان ما يرجع إلى الحق والصواب أو الرأي الراجح إذا عرفه. فهو يرى قصة رجوعه عن نقد بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين اشتهروا بمعارضة الإمام عليّ كرم الله وجهه ورضى عنه، فيقول: دعاني الباقورى يومًا لمنزله، وكنت صديقًا له فما أن جلست حتى قال: « ما الذي بينك وبين عمرو بن العاص ياشيخ محمد؟ فقلت ليس بيني وبينه شيء اللهم إلا أنني أخطب في جامع عمرو الجمعة. قال الباقوري :دعك من هذا واستمع لرؤياي هذه، ولك - بعد ذلك - تأويلها . ثم قال الباقوري : « رأيت فيما يرى النائم وأنا في منزلي هذا أن مناديًا ينادي: الوالي قادم، الوالي قادم! فتساءلت ومن هو الوالي فأجابوا : عمرو بن العاص فدخل فنظرت إليه فهبته، ثم قال عمرو: **قل للشيخ الغزالي: إني قد عفوت عن انتقاصه ونقده لي لأنه قد عمر مسجدي».**

يقول الشيخ الغزالي: فأجهشت بالبكاء، وأدركت أن في الرؤيا إشارة إلى شيء كان في نفسي، وكنت أصرح ببعضه أحيانًا، وهو كراهتي لمحاربي عليّ ومخالفيه من الصحابة، وبخاصة معاوية وعمرو. وبعد أن فرغت، قلت للباقوري : إننى أعلن أمامك توبتي ورجوعي عن ذلك : فكل من صحبوا رسول الله ﷺ يجب أن يتركوا لله ولرسوله، فذلك هو الأولى والأليق بنا، ولا ينبغي أن نضع مسؤولية خيبتنا وتراجعنا عليهم. وما يدريني ما أكون لولا عمرو لعلني لو لم يدخل عمرو مصر ويفتحها بالإسلام وله، أكنت الآن من المسلمين؟!!».

تعميره مسجد عمرو بن العاص :

كان مسجد عمرو بن العاص - فاتح مصر - في مدينة الفسطاط جنوبي القاهرة في منطقة شعبية عرفت « بمصر القديمة» ، أحيط بالمباني العشوائية المتواضعة ومصانع الطوب الآجر ومدابغ الجلود فأصابه إهمال شديد، وبقي مجرد أثر من الآثار الإسلامية

في مصر. لكن مسؤولية إدارة مسجد عمرو بن العاص بقيت منوطة بوزارة الأوقاف، فهيئة الآثار ترى الأوقاف مسؤولة عنه من ترميمه والمحافظة عليه، وتتوقع منها أن تتولى ذلك، حتى كاد أول جامع في مصر أن يضيع ويندثر. ولما تولى الدكتور عبد الحليم محمود - رحمه الله - وزارة الأوقاف كان الشيخ الغزالي معه مديرًا عامًا للمساجد. فاستدعى الدكتور عبد الحليم الشيخ الغزالي وطلب منه أن يتولى خطابة الجمعة في جامع عمرو، وفي هذا يقول الشيخ الغزالي : «فأطرق الشيخ عبد الحليم قليلاً، ثم قال: أريدك أن تخطب في جامع عمرو بدءً من الجمعة القادمة» . يقول الغزالي: «كنا في يوم الثلاثاء ، فقلت له أعطني فرصة حتى أهيء الجامع، قال الشيخ عبد الحليم ستخطب الجمعة القادمة في جامع عمرو». يقول الشيخ الغزالي :«فذهبت إلى المسجد فوجدت الأتربة متراكمة والقمامة قد بلغت في بعض جوانبه ما بين الأرض والسقف، فدعوت طلابي الذين كنت أدرس لهم في الأزهر - وكانوا حوالي خمسين - وأخبرتهم بما جرى، وطلبت منهم مساعدتي على إعداد جامع عمرو لصلاة الجمعة، فتم ذلك في وقت قصير. وبعد أن سمع طلابي في جامعة القاهرة وغيرها احتجوا أنني لم أشركهم مع طلاب الأزهر في هذا الخير.

وبعد أن صليت الجمعة الأولى أدركت أن الله - تعالى - قد ألهم الرجل الصالح الشيخ عبد الحليم محمود ليعمر هذا المسجد المبارك ويحييه، ليكون شاهدًا على عراقة انتماء هذا البلد وشعبه إلى الإسلام، وصدقه في حمل رسالته.

وقررت أن أجعل من خطبي فيه سلسلة متصلة من التفسير الموضوعي لآيات الكتاب الكريم، وأن أبدأ من أول القرآن واستمر حتى نهايته إن شاء الله ومُدَّ في الأجل. و لم تمض جمعتان أو ثلاث حتى صار الجامع الكبير يضيق بالمصلين على اتساعه، وكان كثير من المصلين يأتون من خارج القاهرة في سيارات نقل يستأجرونها» . ويقول الشيخ : « ولقد واصلت ذلك حتى بلغت سورة النساء. وفي

تلك الفترة كان قانون الأحوال الشخصية يعرض على البرلمان، فظن أنور السادات أنني تعمدت تفسير آيات من هذه السورة في هذه الفترة لبيان مخالفات هذا القانون لأحكام القرآن، فمنعني من الخطابة في وقت كان عدد المصلين قد قارب خمسة عشر ألفًا أو يزيدون».

وهنا قرر الشيخ الهجرة إلى مكة المكرمة حيث عمل أستاذًا في أم القرى ومتحدثًا في الإذاعة ، وكاتبًا في كثير من المجلات والجرائد السعودية حتى بلغت أحاديثه المذاعة ألف حديث، معظمها مسلسلات في إذاعة القرآن الكريم .

الشيخ الغزالي والجيش المصري :

الشيخ الغزالي شاهد على مراحل حرجة من حياة مصر وجيشها وشعبها (سنة ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٧٣م) ، ويرى في منتسبيه - جنودًا وضباطًا وضباط صف - عناصر مخلصة مستعدة للتضحية والبذل والفداء، وله رأي في قيادات الحروب الثلاثة الأولى .

ويرى في هزيمة ١٩٦٧م هزيمة كبرى وعارًا ألحقته «القيادة الغافلة المخدرة» - حسب تعبيره - بجيش وشعب لا يستحقان ذلك منها ، وقد منحاها كل الولاء والتأييد.

ويرى في استبداد القيادة وإهمالها لأبسط قواعد الشورى أو الديمقراطية أسبابًا مباشرة في الهزيمة، وقد كتب في ذلك وتحدث باستفاضة . وفي معرض الحديث عن حرب العاشر من رمضان سنة ثلاث وسبعين، يرى أن من أهم أسباب النصر في الانطلاقة الأولى للحرب تلك الروح المعنوية الإسلامية العالية التي استطاع أن يبثها في أبناء القوات المسلحة خمسون مرشدًا من أفضل وأعظم الدعاة والخطباء الأزهريين، كان على رأسهم الشيخ عبد الحليم محمود والشيخ الغزالي نفسه. فهؤلاء المرشدون هم الذين استطاعوا تعبئة أبناء القوات المسلحة تعبئة نفسية عالية جعلت من كثير منهم

نماذج يمكن أن توضع بجانب النماذج الحية التي تتابعت قوافلها منذ عصر النبوة حتى يومنا هذا . لقد كان يقول لأبناء الجيش المصري مثلاً: «.... الإيمان مواقف، وهناك أناس متخصصون في الهروب من المواقف إلى مواقف أخرى هي الباطل بعينه وإن لبست أحيانًا ثوب التدين ؛ فالفرار من الجهاد لا يغني عنه المكث في صحن المسجد».

يقول: «إن أزمة الشهامة دليل على فتور روح التدين والرجولة وانطلاق السعار الحيواني دون قلق، والأمر يحتاج إلى معالجة سريعة؛ فإن استقرار المنكر على هذا النحو إيذان بالانحدار والضياع وتتابع الهزائم المذلة».

لقد استطاع الشيخ الغزالي ورفاقه أن يعيدوا بناء نفسية المقاتل المصري بناءً إسلاميًّا، وأن يبثوا في شرايينه الدماء التي كانت تحتاجها معركة الأمة مع أعدائها ومنتهكي حرماتها، وغاصبي أرضها، ومهددى أمنها .

رحم الله الشيخ الغزالي وتقبله في الصالحين، فالحديث عنه طلي ، والذكريات معه تترى .

* * *

الله والطبيعة[1]

بدأ الأستاذ أحمد حمزة الندوة قائلاً: «قال بعض رواد الفضاء إنه حاول أثناء طوافه البحث عن الله فلم يجده».

وليس هذا بجديد فقديمًا أنكر بعض علماء الطبيعة وجود الله ، وقالوا: «إن خلق السماوات والأرض بل وجميع المخلوقات من صنع الطبيعة وحدها» .

نرجوا أن تتناول الندوة هذا الموضوع من جميع نواحيه بالتفصيل.

وقد استهلها الشيخ محمد الغزالي رحمه الله بقوله : إن الإله الذي يظن أنه يسكن بعيدًا عن الأرض بمائة ميل أو مائة وخمسين ميلاً إله ننكره نحن المسلمين قبل أن ينكره هؤلاء، فالإله الذي نؤمن به إله بيده ملكوت كل شيء وهو يملك السماوات والأرض وما فيهن ومن فيهن.

ولعل الفكرة الغامضة الشائهة هي التي جعلت هؤلاء الرواد يبحثون عن الله فيما تصور لنا الأنباء على هذا المدى من ظهر الأرض ثم يعودون بعد رحلتهم هذه ليقولوا للمؤمنين إنهم لم يجدوا هناك الإله الذي يزعمونه أو الذي يؤمنون به .

إن المؤمنون لا يؤمنون بإله تصوره الخرافات، أو تحكيه الأساطير، ولعل كلمة التوحيد التي تعتبر عنوان الإسلام ومدخله قد صورت موقف الإسلام من الألوهية تصويرًا دقيقًا عندما استقامت من شقين متكاملين.. أولهما سلب، والآخر إيجاب.

الكلمة الأولى: تنفي الألوهية، والكلمة الثانية: تثبتها.

الكلمة الأولى: (لا إله)، ومعنى لا إله: أن الألوهية كما يتصورها الوثنيون

---

(١) عقدت هذه الندوة في مساء الثلاثاء ١٤ من محرم سنة ١٣٨٤هـ ، الموافق ٢٦ من مايو ١٩٦٤م .

والمخرفون والمجسدون ومن تبعوا الخيال والأوهام، هذه الألوهية بهذا المعنى لا يعرفها الإسلام، ويجب أن ينكرها كل مسلم .

الآلهة التي تعلق الناس بها قديمًا بدأ الإسلام أول ما بدأ .. فأنكرها ، وعلى أنقاضها بنى التوحيد المطلق، والألوهية الصحيحة، والإيمان بالله الذي يسع كل شيء.

وتعتبر الأفلاك والسماوات والآماد الواسعة في الفضاء والمكان والزمان وما إلى ذلك يعتبر كل هذا شيئًا من خلقه، بل كل شيء قليل من خلقه لا يُنظر إليه إلا على أنه يعطي صورة للمفكرين وأولي الألباب على عظمة ذاته وما ينبغي له .

إن هذه الكلمة التى تناقلتها الألسنة عن رواد الفضاء يكمن وراءها غرور ينبغي أن يُعرف خبؤه، الذين قفزوا من على ظهر الأرض نحو مائة ميل أو مائة وخمسين ميلاً لم يحرزوا - من فهم المجاهيل الكثيرة في هذا الكون - شيئًا يُذكر، فهم في نظري أشبه ببرغوث قفز على كرة قدم .

ما قيمة أن يثبت البشر فوق أرضهم هذه مائة كيلو أو مائتي كيلو أو أكثر أو أقل؟

إن هذا لا يجعل أحدًا يتبجح فيقول: اخترقنا أستار الكون وعرفنا الآفاق المجهولة ووصلنا إلى ما لم يصل إليه الأولون .

ومع ذلك فلنتجاوز الأمر كله، ولنتمش قليلاً مع هذا التفكير المادي الشارد لماذا يكفر هؤلاء بالله؟[1].

إذا كان العقل هو الذي يحتكم إليه في تصوير الأمور وإصدار الأحكام فإن العقل الناضج يرفض هذا الأحكام، والشيوعيون الذين يؤمنون بالمادة ويعولون عليها في

---

(١) الحجب التى تحول بين الناس وبين الإيمان بوجود الله منها :

أ - الانحصار في دائرة الحس والجهل بأن كثيرًا من الموجودات لا تحس ولا ترى .

ب - الغفلة .

جـ - التقليد .

د - المكابرة والعناد .

أحكامهم الكثيرة لا يتصورون أن القمر الصناعي الذي قذفوا به من صواريخهم يمكن أن يشرف على إرساله رجل يشتغل إسكافًا أو حدادًا، لماذا؟

لأنهم يقولون: إن إرسال هذا القمر في مداره المحكم لابد أن يشرف عليه نفر كثير من العلماء المنوعة آفاقهم، علماء في الفلك وعلماء في الجاذبية وعلماء في الحيوان والنبات وعلماء في الصناعة وعلماء في المعادن وعلماء في الحرارة وعلماء في الكهرباء وعلماء في فنون كثيرة، أي : أن الخلق والتكوين يحتاجان في المكون والخالق إلى صفات معينة لابد من توافرها .

لا يتصور أن بغلاً في الطريق يجر عربة من العربات ينسب إليه أنه وضع التصميم الهندسي لبناء عمارة في القاهرة ؛ لأن بناء عمارة في القاهرة يحتاج إلى عقل وأدوات وتفكير وتقدير، ولا يستطيع أن يملك هذه الصفات حيوان يجر عربة .

ـ لابد فيمن يخلق وفيمن يدبر أو فيمن يصنع أن يكون على مواهب أعلى وأقوى من الشيء الذي خلقه وأنتجه وأوجده .

فإذا كان القمر الصناعي احتاج في مداره وإرساله إلى نحو ألف من الخبراء الأقوياء الذين قاموا بهذا العمل، فكيف يتصور أنّ القمر الطبيعي سلك مداره من الأزل إلى الآن دون أن يشرف عليه أحد، أو يقوم بهذا التدبير والتقدير كائن ما ؟

العقل الإنساني يرفض بداهة هذا التصور الشارد للأمور، وهذه الأحكام التي ترسل دون تدبر، بل إن [الرائد السوفييتي الأول] الذي وصل إلى الفضاء سمعنا منه أنه أخذته الدهشة عندما أرسل طرفه خلال الفضاء فوجد الأرض كرة معلقة لاتحملها أعمدة ولا ترتكز على دعائم بارزة في الفضاء، وكأنما تساءل: من الذي وضعها في مكانها هذا وكيف تسير أو تنطلق في هذا الفضاء؟

وهذا السؤال طبيعي أملته الفطرة، ويجب أن يكون الطبيعي الذي أملته الفطرة قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ

أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1].

الخلاصة التى أريد أن أصل إليها: لأن الإلحاد وليد غرور وطيش وليس وليد تفكير وعقل، و أن رواد الفضاء الذين قالوا هذا الكلام فيما أعتقد - أملى عليهم ما لا يعتقدون وما لا يمكن استنتاجه منطقيًّا من الرحلات التى قاموا بها، فإن الرحلات التي قاموا بها إذا تدبرناها ووزناها بميزان العلم الصحيح وجدناها تدل على أن الكون محكوم بقوانين دقيقة لا تنخرم لا على ظهر الأرض ولا بين الأرض والسماء، وأن هذه القوانين الموزونة المطردة إنما تشير بقوة إلى أن وراءها صانعًا حكيمًا ولا يمكن أن تكون وليدة نفسها، ولا وليدة مصادفات عابرة، وقد راد الفضاء مع هؤلاء أو قبلهم أو بعدهم ناس رجعوا إلينا يقولون :

إننا لم نزدد إلا إيمانًا بالله وأنه حق، وقد سئل كثير من علماء الكون والحياة أمؤمنون هم أم كافرون؟

فكان جوابهم أنهم مؤمنون، وأعطى كل منهم دلائل إيمانه من المهنة العلمية التي برع فيها وتفوق[1] .

من هذه الاستطرادات بل من استقراء التاريخ الإنساني، تاريخ الفلسفة الحرة وتاريخ التفكير البعيد عن الوحي السماوي، نجد أن أكثر الفلاسفة آمنوا بالألوهية، وأن قلة منهم فقط هي التى شردت عن الطريق مثل: كارل ماركس أو أرستيب أو أبيقور من فلاسفة اللذة والمنفعة الذين يمثلهم الوجوديون والحيوانيون في عصرنا هذا،

---

(١) سورة فاطر الآية رقم (٤١).

(٢) راجع الكتب الآتية:

أ - العلم يدعو إلى الإيمان . كريس موريسون، ترجمة أ / محمود صالح الفلكي .

ب - الله يتجلى في العلم الحديث، لمجموعة من العلماء .

جـ - براهين وأدلة إيمانية . للشيخ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .

د - العقيدة الإسلامية . للشيخ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .

هـ - الإسلام يتحدى . للعلامة : وحيد الدين خان .

أمـا أغلب الفلاسـفة الكبـار من قـادة الفكـر الإنسـاني فهم مؤمنـون بالألوهيـة ومن احترامهم لعقلهم آمنوا بها ، وقد يكون هناك اختلاف في تصور الألوهية ، نشأ عن أن العقل الإنسـاني سـار وحده في بعض العصـور دون هدايـة من السـماء أو توفيق من الوحي.

ولكن .. هل هذا السير الفريد (لا)[1] يعني أن الإلحاد له كرامـة، أو له أسانيد، أو أن له رجالاً يحتفون به، أو يؤمنون إيمانًا صحيحًا بصدقه؟

ومن هنـا أعتقد أن الكلمات التى رويت عن رواد الفضاء يجب ألا يكون لها صدى في النفوس، وأن تعتـبر كأنهـا بعض هـذه الحماقـات التى تنطلـق من أفـواه لا تعي مـا تقول.

* * *

(١) هكذا في الأصل والكلام يستقيم بدونها .

المهدي المنتظر[1]

استهل هذه الندوة الأستاذ أحمد حمزة قائلاً: (هناك عقيدة شائعة عند كثير من المسلمين أن مُصلحًا من آل البيت النبوي الكريم يسمى المهدي المنتظر، سيظهر قبل أن تقوم الساعة) .

«فما رأي الندوة في حقيقة هذه العقيدة؟ وما هو أوان ظهور هذا المهدي المنتظر إن كان سيظهر حقًا؟» .

وقد شارك الشيخ محمد الغزالي بقوله: من علامات الساعة ما هو ثابت بيقين .. مثل أن يكون القرآن الكريم قد أشار إليه أو جاءت به السنن المتواترة، فمما أشار إليه القرآن مثلاً: خروج يأجوج ومأجوج قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ(٩٦)وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2] .

وقد تكرر هذا المعنى في سور من القرآن الكريم ، مما يجعلنا نعتبره من العقائد أنه قبل قيام الساعة يخرج يأجوج ومأجوج، وربما لا يكون من العقائد ما ورد في أوصاف الطائفة من أحاديث آحاد، لكن ما ثبت بيقين في القرآن الكريم لا كلام فيه، ومثل الدابة ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ﴾[3] .

وإذا ما كانت الأحاديث التي وردت في وصف الدابة من سنن الآحاد التي لا تكوّن عقيدة، لكنّ هذا القدر الذي جاء به القرآن ثابت بيقين .

---

(١) عقدت هذه الندوة في مساء الثلاثاء ١٦ من شوال ١٣٨٣هـ / الموافق ١٢ من مارس ١٩٦٣م ، بدار مجلة لواء الإسلام .

(٢) سورة الأنبياء الآية رقم (٩٦) .

(٣) سورة النمل الآية رقم (٨٢) .

فأحاديث نزول عيسى - في نظري - تفيد اليقين؛ لأنها كثيرة وردت في الصحيحين، كذلك أحاديث خروج المسيح الدجال تكاد تكون أيضًا أحاديث صحيحة، ويخيّل إليّ فيما قرأته أن هذه الأحاديث لا تنطبق على طائفة من الناس إنما هي وصف لرجل مشخص له آثار في بدنه وله وقائع معينة تنسب إليه، ويقوم بها . هذه الأشياء التي وردت في كتاب الله أو في سنة رسول ا لله ﷺ الصحيحة، لها مكانتها من ناحية النقل، ومن ناحية القبول، وأحاديث المهدي وردت كما قرأناها في بعض كتب السنة مثل الترمذي ومثل أبي داود ومثل الحاكم أيضًا، وأظن البيهقي[١] وبعض كتب السنة الأخرى[٢].

وأنا لم أقرأ في هذا آثارًا للشيعة، ولكن هذه الآثار التي قرأناها ربما لا يتضح في النفس أنها أحاديث حسنة[٣] ، وربما لا ترتفع إلى مرتبة الصحة ولكنها لا تهبط إلى مستوى الضعف، فالأحاديث تعطي خبرًا لا يرقى إلى حدّ أن يكون عقيدة بيقين، فمن أنكر أن المهدي سيجيء فهو مؤمن ولا كلام في إيمانه، وإنما هو ينظر نظرة علمية إلى أحاديث وردت، وينقد أحاديثها نقدًا من حقه أن يصل به إلى رفض هذه الأحاديث ومن حقه أن يصل به إلى قبولها، وقد وردت عند المسلمين أحاديث في ليلة النصف من شعبان لعلها أضعف من أحاديث المهدي ومع ذلك راجت بينهم وقبلوها .

---

(١) نعم . أخرجها البيهقي في دلائل النبوة .

(٢) راجع أسماء الأئمة الذين خرجوا أحاديث المهدي في «الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدى للشيخ / عبد المحسن بن حمد العباد ص ١٦٦ - ص ١٦٨ مطابع الرشيد - المدينة المنورة ١٤٠٢هـ .

(٣) قال الحافظ أبو الحسين الآبريّ في كتابه (مناقب الشافعي) «تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدى وأنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى عليه السلام خلفه» . المنار المبين لابن القيم ص ١٣٩، ١٤٠ بتصرف وفتح الباري ٦ / ٤٩٣ .

وقال الشوكاني في (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح) ما نصه : «الأحاديث الواردة في المهدى التى أمكن الوقوف عليها خمسون حديث فيها : الصحيح، والحسن، والضعيف المنجي وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الإصطلاحات المحررة في الأصول » . نقلاً عن الإذاعة لصديق حسن خان ص ١١٣ ، ١١٤ .

على أن الأحاديث الضعيفة إذا وردت بأسانيد متفاوتة وكثيرة فإن بعضها يقوّي البعض الآخر، فمن أنكر ليلة النصف ومن أنكر أحاديث المهدي فلا يخدش دينه، ولا كلام في إيمانه، وإنما المسألة مسألة عقلية أو مسألة علمية، يتفاوت المسلمون فيها .

ومن هو المهدي: هل هو طائفة؟ أو شخص معين؟ فالأحاديث التي وردت في كتبنا أيضًا على قيمتها قالت إنه شخص من نسل النبي عليه الصلاة والسلام، حتى إن بعض هذه الأحاديث قال: «إن اسمه يواطئ اسمي، واسم أبيه يواطئ اسم أبي»[1] .

وإلى هنا والأمر لا يعدو أن أحاديث آحاد وردت بمعنى من المعاني، ربما كان في الأحاديث الأخرى ما يؤيده، وقد نتساءل: هل هو رجل من المجددين الذين جاءت فيهم أحاديث ليست في مرتبة الصحيحة، إنما هي من قيمة الأحاديث التي وردت في المهدي (أن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها)[2] هل هو رجل مجدد؟ يغيّر العقول بمعالم الإسلام التي درست، أو هو رجل من الحكام الذين يجيئون فيصلحون ما أفسد أسلافهم من شرائع الإسلام ومن تطبيقاته.

ومعروف من الإسلام ومن أحاديثنا التي وردت في كتبنا (أن عرى الإسلام تنقض عروة عروة وأن أولها نقضًا الحكم وأن آخرها نقضًا الصلاة)[3] .

ومعروف من تاريخنا أن الحكم الإسلامي مرّ في مراحل ليست مستقيمة مع النماذج الإسلامية الصحيحة للحكم .

فالذين رأوا أن معاوية أدخل بدعة النظام الملكي في الإسلام وقالوا لنا أردتموها هرقلية كلما هلك هرقل طلع هرقل، أو كلما مات كسرى جاء كسرى.

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ١٠٦ رقم ٤٢٨٢ .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٢٩١) في الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٢) وسكت عليه هو والذهبي وقواه بن حجر وقال السيوطي «اتفق الحافظ على أنه صحيح» وصححه الزين العراقي، والسخاوي، والمناوي، وغيرهم انظر بحث التجديد في الإسلام بمجلة البيان العدد الأول.

(٣) لفظ الحديث «لينقض عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة» ـ مسند أحمد ٥ / ٢٥١ عن أبي أمامة الباهلي.

والذين رأوا أن الحكام المسلمين بعثروا أموال الأمة واستبدوا بأمورها ولم يكونوا أهل شورى، رسخ في أذهانهم أو وقر في أنفسهم أن هذا اللون من الحكم لا يمثل الإسلام، وأن الله قد يرسل في آخر الزمان من يرد اعتبار الحكم في البلاد الإسلامية، فيملأ أكناف الأمة عدلاً كما ملئت أرجاؤها جورًا على أيدي حكام سابقين.

ونحن نرى أن المسألة فعلاً فيما يتصل بالمهدي لا تبلغ بإطلاق وبيقين إلى أن تكون مسألة عقيدة، إنما هي خبر ورد، وهذا الخبر الذي ورد قيمته العلمية لخصها علماؤنا في هذه الكلمة الموجزة (لم يرد في المهدي حديث صريح، وما ورد صريحًا فليس بصحيح)[1] .

هذه الجملة حددت موقف الأمة الإسلامية تقريبًا ، وصحيح أن الشيعة الإسلامية يقولون بأن هناك مهديًّا سيخرج ويثأر لما أصاب الأمة الإسلامية أو لما أصاب الطالبيين من مظالم وقعت بهم .

وأنا لا أرى هذا الرأي ولا أظن أنه صحيح، وإن كنت أؤيد الشيعة الإمامية في أن سير الحكم الإسلامي في قرون كثيرة لم يكن مستقيمًا مع تعاليم الإسلام، وليس معنى هذا أني أقول بأئمة معصومين، ولكني أرى أن رأي الأمة الإسلامية شورى، وأن أكفأ المسلمين يجب أن يختار لحكمهم، وأن الأمور لم تسر على هذا النحو للأسف.

فإذا فتحنا باب الأمل على هذا النحو ودرسنا أحاديث المهدى والمجددين على أساس علمي ونفساني[2] ، صحيح يفتح باب الأمل ويقفل باب الدجل نكون قد انتفعنا بهذا الأحاديث وإلا فخير لنا أن نقفله، وهذا رأيي.

---

(١) هذه الكلمة فيها نظر . راجع مقالات أهل العلم بالحديث حول أحاديث المهدي في المهدي حقيقة لا خرافة لمحمد أحمد إسماعيل ص ٦٧ وما بعدها .

(٢) لقد ردت المدرسة العقلية أمر المهدي المنتظر إلى مشكلة نفسية مرت بها الأمة للخروج من مأزق الخلافة الأموية ولكن أنى لهذه الأمة التى تربت على قول النبي ﷺ: «من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» أن يجتمع أئمتها من المحدثين الثقات على تصحيح حديث المهدي! هل ترى المدرسة العقلية أن الأئمة اجتمعوا على اختلاق أمر لم يقله رسول الله ﷺ، مع أنه ورد في شأنه خمسون حديثًا يعضد بعضها بعضًا؟

رفع المسيح حيًّا إلى السماء[1]

بدأ الأستاذ أحمد حمزة الندوة قائلاً: هناك عقيدة شائعة عند السواد الأعظم من المسلمين بأن السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لم يمت، وأنه قد رفع حيًّا إلى السماء وسينزل في آخر الزمان ليقتل المسيخ الدجال ويحكم بشريعة الإسلام، وهناك من يقول غير هذا القول، فما رأي الندوة في هذا الموضوع؟.

وقد شارك الشيخ محمد الغزالي قائلاً :«ما هو مصير عيسى عليه السلام ؟ هل قتل كما يزعم البعض[2] ، أو مات كما يزعم البعض ميتة طبيعية أو رفع بجسده؟

الثابت من القرآن الكريم أنه لم يقتل وهذا مما لا خلاف بين المسلمين فيه.

بقي أن نتساءل: هل مات كما يموت سائر الناس؟ أم أنه رفع بجسده؟

وعندي أن نصوص القرآن الكريم لا تعطي أحد الرأيين في وضوح بل كلا الرأيين يساوي الآخر في دلالة النص عليه ، فلو قلنا إنه مات وانتهى فظاهر القرآن يعطي هذا، ولو قلنا إنه رفع بجسده فلا مانع من القول بهذا فيما نفهم من آيات الكتاب العزيز.

وإذا نظرنا إلى الآيات التي تناولت الموضوع نجد قوله تعالى في آخر سورة المائدة مثلاً: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3] ، وفي سورة آل عمران: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4] .

---

(١) عقدت هذه الندوة في مساء الثلاثاء ٨ من ذي القعدة ١٣٨٢هـ / الموافق ٢ إبريل ١٩٦٣م بدار مجلة لواء الإسلام.

(٢) هذا اعتقاد اليهود والنصارى أما نحن المسلمين فعقيدتنا أن الله تعالى نجى رسوله عيسى عليه السلام من كيد أعدائه قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٥٧).

(٣) سورة المائدة الآية رقم (١١٧) .

(٤) سورة آل عمران جزء من الآية رقم (٥٥) .

والذين يرون أن الوفاة تعني الموت الحقيقي يأخذون بظاهر هذه الآيات ومنهم ابن حزم إذ هو من فقهاء الظاهر ويرى أن صرف الظاهر عن حقيقته لا معنى له، وعندما أتأمل كلمة (توفى) أجد أن القرآن استعملها بمعنى النوم حينًا وبمعنى الموت حينًا آخر ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾[1] ويتوفاكم بالليل معناها وينيمكم بالليل ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[2] .

فاستعملت كلمة الوفاة هنا بمعنى النوم حينًا وبمعنى الموت حينًا آخر، وما دامت الكلمة تعني الأمرين على سواء فمن رأى أنها تعني موت عيسى موتًا عاديًا فلا حرج عليه في هذا الفهم ولا يعتبر مخترقًا لأسوار النصوص وهو ينظر بعد ذلك إلى (رفع) فيراه رفعًا روحيًّا أو رفع درجة كقوله تعالى في إدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[3] وينظر إلى الآية التي تفيد نزول عيسى مثل: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾[4] .

على أن عيسى كمحمد كلاهما علم على الساعة أو من أشراطها البعيدة وإيما كان الأمر فهذا رأي[5] .

---

(١) سورة الأنعام جزء من الآية رقم (٦٠) .

(٢) سورة الزمر الآية رقم (٤٢) .

(٣) سورة مريم الآية رقم (٥٧) .

(٤) سورة الزخرف الآية رقم (٦١) .

(٥) أما الرأي الثاني وهو أن عيسى رفع إلى السماء حيًا بجسده وروحه فقد بني أصحابه قولهم هذا على أنه هو المتبادر من قوله سبحانه: ﴿**وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه**﴾ لأن في الكلام إضرابًا عن القتل إلى الرفع، ولا يعقل أن يضرب عن الموت الذي ينشأ عن القتل ليخبر عن رفع الروح بعد الموت الطبيعي الذي لا دخل للقتل فيه بل المعقول والمقبول أن يكون الإضراب عن القتل إلى الرفع مقصودًا به إبطال أن يكون عيسى قد مات وإثبات أن الله رفعه إليه حيًّا بجسده وروحه، كما فسروا قوله تعالى: ﴿**إني متوفيك**﴾ بأنه سبحانه ينيمه ويرفعه إليه في تلك النومة أخذًا من قوله تعالى: ﴿**وهو الذي يتوفاكم بالليل**﴾. وجعلوا الواو في «ورافعك إليَّ» للتشريك في الحكم وعليه فالمعنى أن الله حكم على عيسى بالنوم والرفع، أو معنى «متوفيك» آخذك وافيا بجسدك وروحك من وفى فلان دينه من فلان أخذه وافيًا . كما حملوا قوله تعالى: ﴿**فلما توفيتني**﴾ على أنه كلام صادر من عيسى ﷺ يوم القيامة وهو في هذا اليوم سيكون قطعًا قد بعث بعد الموتة التى أذاقها الله له بعد نزوله حيا من السماء إلى الأرض. وأما قوله تعالى ﴿**وإنه لعلمٌ للساعة**﴾ فهو دليل على أنه سينزل إلى الأرض ويكون كما أخبر المعصوم ﷺ «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل ابن مريم فيكم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض =

والرأي الذي يقول بأن عيسى رفع بجسده وأنه لا يحيا حياة روحية كسائر الأنبياء وإنما يحيا حياة خاصة أيضًا بأن ظواهر النص تعطي معنى النوم أو معنى الاسترجاع العادي ويضم لهذا ظاهر ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوه﴾(1) .

وإن كانت لا تعطى إطلاقًا ما يفيد أنه رفع بجسده إفادة واضحة، ولكن بمجمل الآيات يرى أن عيسى قد رفع بجسده وأن هذا الرفع بالجسد أعجوبة كالطريقة التى ولد بها وينتهى الأمر بهذا المصير عنده، وأنا شخصيًا ترددت في الميل إلى واحد من هذين الرأيين مع أني لا أفهم الكلام إلا من القرآن ومن السنن ولا عبرة بما يروى بداهة في الكتب الأخرى التى يدين بها أبناء الديانات الأخرى .

وقد وجدت أن الأدلة متكافئة في القرآن الكريم فليس في القرآن نص يفيد أنه باق بجسمه وليس فيه نص حاسم - إلا ظاهر الآيات - أنه مات موتًا طبيعيًا ، وأكاد أميل إلى أن عيسى مات، وأنه كسائر الأنبياء مات ورفع بروحه فقط، وأن جسمه في مصيره كأجساد الأنبياء كلها ، وينطبق عليه الآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾(2) ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل﴾(3) وبهذا ينتهى أن عيسى مات.

ونرجع إلى ابن حزم وهو ممن يأخذون بالظواهر في الأحاديث والسنن، ابن حزم الذي يقول إن عيسى مات يقول إنه سيعود قبيل القيامة يعود كأن عودته إحياء جديد على رأي ابن حزم، والواقع أن عودة عيسى في نظري مفهومه من النصوص، نصوص الأحاديث التي وردت، والتي لا يمكن الطعن فيها لأنها وردت في الصحاح، وأنا لا أزال أعلل للأمر من الناحية العامة وفي ظني أن الخلاف شديد بين المسلمين وبين المسيحيين في طبيعة عيسى، والخلاف قد حسم مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى

=المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها» البخاري ك : الأنبياء ، ومسلم ك: الإيمان.

(1) سورة النساء، جزء من الآية (157).

(2) سورة الزمر الآية رقم (30).

(3) سورة آل عمران الآية رقم (144).

وبقي ممتدًا مع هؤلاء المسيحيين في نقط جوهرية، فنحن المسلمين نرى أن عيسى بشر، وأنه هو ووالدته ينطبق عليهما ما ينطبق على سائر البشر في مثل قوله تعالى : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾[1] وفي الحق أنه لولا أنني مسلم ـ أعتقد صحة كل ما في القرآن ـ لما صدقت أن عيسى ولد بغير أب، فإيماني بأن عيسى ولد بغير أب لا مصدر له إلا ثقتي في أن القرآن حق .

فإذا جئنا إلى الخلاف بيننا وبين المسيحيين وجدنا أنهم أخذوا من ولادة عيسى لغير أب شبهة أن له صلة خاصة با لله، وهذه الصلة الخاصة با لله جعلتهم يطوّعون لأنفسهم القول بأنه إله أو ابن إله أو فيه شائبة الألوهية، وهذا الكلام يشيع بين أكثر المسيحيين. وإن فيهم من يؤمن بعد الحواريين ومماتهم أن عيسى بشر عادي، وأنه من معدن غير معدن الخالق جل شأنه، وأنه مخلوق، ويعتبرون الله هو الواحد الذي يعبد وزعيم هؤلاء هو آريوس[2] وكانت كنيسة الإسكندرية تتبنى هذه النزعة[3]، بل كان مؤتمر «نيقية» الذي انعقد وحضره عدد كبير من القساوسة يرون أن عيسى بشر عادي ولكن استطاع القيصر قسطنطين[4] أن يتدخل في الأمر ويجعل من المسيح عيسى ابنًا لله، ومن رأى أنه خير لنا نحن المسلمين وكتابنا لم يقل قولاً حاسمًا أبدًا إن عيسى حيّ بجسده ـ خير لنا منعًا للاشتباه في أنه ولد من غير أب وأنه باق على الدوام مما يروج لفكرة شائبة الألوهية فيه ـ خير لنا أن نرى الرأي الذي يقول إن عيسى مات وأنه انتهى وأنه كغيره من الأنبياء لا يحيا إلا بروحه فقط حياة الكرامة وحياة رفعة الدرجة.

أما عودة عيسى ففي نظري أن الخلاف بيننا وبين المسيحيين هو في أننا نرى أن

---

(١) سورة المائدة الآية رقم (٧٥) .

(٢) آريوس قسيس في كنيسة الاسكندرية ليبـي الأصل ولد عام ٢٧٠م وتوفي سنة ٣٣٦م . تاريخ الأقباط ١ / ١٥٠ .

(٣) راجع طائفة الموحدين في المسيحية عبر القرون للمهندس / أحمد عبد الوهاب ط/ مكتبة وهبة .

(٤) راجع ترجمته في قصة الحضارة ج٣ من المجلد الثالث ص ٣٧٢ .

الإنسـان منا مسؤول برأسـه وبنفسـه أمام ربه، وهم يقولون إن دم عيسـى كان كفارة لخطايا الخلق، وفي ظني أنه ربما كانت عودة عيسى إنما ليكذب بنفسه هذه المزاعم، فأنا أميل لرأي ابـن حزم في أن عيسـى مـات وانتهى، وأميل أيضًـا إلى تصديـق الأحاديث الواردة حتى يكون في عـودة عيسى أو في تجسـيده كمـا يقول بعـض علماء الأرواح تكذيـب لمن أحاطوا باسمـه وزعموا أنـه صلب مـا يجعلـه هو يعـود مرة أخرى ليكسـر الصليب الذي قالوا إنـه قتل عليه وليكذب هذا المزاعـم التى أحيطت بها سمعته وسيرته، وأنتهي من هذا الكلام إلى أني أرى من الآيات التي أقرؤها في الكتاب: أن عيسى مات وأن موته حـق، وأنه كموت سـائر النبيين وفي الوقت نفسـه أصدّق بأنـه يعود وعودته خلق جديد، وعلـة العودة أنـه يكذب بنفسـه الشائعات الـتي دارت حول مقتله وحول أنه كفارة للخطايا التي يقترفها الخلق.

* * *

تسخير الجن لشفاء الأمراض[1]

وقد استهلها الأستاذ أحمد حمزة قائلاً: « إن بعض المشعوذين يستدرجون السذج من المرضى ويوهمونهم بأنهم يستطيعون شفاء أمراضهم على يد بعض الجن، وقد شاعت هذه الفكرة بين الناس في ريف مصر ومدنها حتى لقد أصبح كثير منهم يعتقد أن لبعض الناس قدرة على استحضار الجن وتسخيرهم فيما يريدون، نرجو أن تبحث الندوة هذا الموضوع من جميع نواحيه».

قال الشيخ محمد الغزالي: عندما بدأنا في الحديث عن الجن استعذنا بالله من الشيطان الرجيم، فإن هذه الاستعاذة اعتراف ضمني بأن هناك قوة خفية يصدر عنها الشر الذي نتخوفه على أنفسنا وعلى إيماننا، ونحن نلجأ إلى الله متحصنين به من غوائل هذه القوى أن تنال منا أو تصيبنا .

والحق أن المسلم الذي قرأ القرآن ودرس السنة يجزم بأن للجن وجودًا، ولا خلاف بين المسلمين فيما أعلم في وجود الجن[2]، وأظن من الناحية العلمية أنه بعد ما ثبت من اتساع الكون ورحابة الآفاق التي تصور الوجود العام الذي نعيش فيه لا يُعقل أن الجنس الإنساني وحده هو الذي يشغل في هذا الكون العريض هذه الأرض المحدودة، ويمثل فيها العنصر العاقل الموجود، وقد علمنا من المعلومات الأولى أن الأرض جزء من مليون ونصف جزء من الشمس ، وأن الشمس جزء من أجزاء أخرى، فلا يمكن أن نتصور أن الجنس الإنساني وحده هو الذي يعمر هذه العوالم الشاسعة الفسيحة التي يحار الذهن في الأبعاد التي تربط بين أجزائها وأرجائها، ولابد أن هناك أجناسًا أخرى، قد تكون الجن وقد تكون الملائكة، وقد تكون غير ذلك، فلنؤمن أيضًا بأن الجن

---

(١) عقدت هذه الندوة في ٢٠ من ذي الحجة ١٣٨٢هـ / الموافق ١٤ مايو ١٩٦٣م.

(٢) ذهب أكثر الفلاسفة وجماعة من القدرية والمعتزلة والجهمية إلى إنكار الجن. انظر القرطبي ١٩ / ٦ ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٩ / ١٠ .

موجود، ولكني أشعر بشيء آخر هو أن الدين بُني على العقل، وأشعر إلى جانب هذا بأن الإلحاد شاع وانتشر لأنه وجد ثغرة في النظام العقلي الذي تقوم عليه الأديان وهو الإيمان بالغيب أو الإيمان بما وراء المادة، فوسّع هذه الثغرة، ونحن اشتركنا في توسعتها وأتحنا للملحدين أن ينالوا من قيمة الإيمان بكثرة كلامنا عن المغيبات، وعن هذه القوة الخفية، كلامًا لا يخضع لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[1] .

فالجن موجود والإنس موجود، وكل ما أعلمه من القرآن الكريم أنه مكلف مثل ما نُكلف نحن، وأنه يتناسل لأن كلمة (ذرية) تفيد التناسل ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾[2] .

أما ما وراء هذا فلا أعلمه، ولم يأت من كتاب الله ولا سنة رسوله[3] ما يدل عليه.

---

(١) سورة الإسراء الآية رقم (٣٦) .

(٢) سورة الرحمن الآية رقم (٧٤) .

(٣) أثبت الشيخ الغزالي رحمه الله أن الجن مكلفون وأنهم يتناسلون ثم اغلق الباب على هذين الأمرين ونحن نضيف إليهما بالدلائل ما يأتي :

١- أنهم لهم خلقة متميزة بصفاتها وحقائقها عن سائر المخلوقات «والجان خلقناه من قبل من نار السموم» الحجر الآية رقم (٢٧) .

٢- أنهم يتشكلون ويرون كما ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسوله الله ﷺ « إن عفريتًا من الجن جعل يفتك على البارحة ليقطع عليّ الصلاة وإن الله أمكنني منه فزعته (خنقته) فلقد همت أن أربطه إلى حنب سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا إليه أجمعون أو كلكم ثم ذكرت قول أخي سليمان «رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي» (ص٣٥) فرده الله خاسئًا . مسلم ك: المساجد ب: جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة جـ١ / ص ٣٨٤ وهناك أحاديث أخرى تدل على ذلك انظر مسلم ١/ ٨٥ .

٣- أنهم يأكلون ويشربون، عن ابن مسعود قا ل: قال رسول الله ﷺ «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله ﷺ (فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم) » مسلم ك: الصلاة ب: الجهر بالقراءة في الصبح ١ / ٣٣٢ .

٤- يتميزون بسرعة الحركة والقدرة على الأعمال الشاقة : قال تعالى: **﴿والشياطين كل بناء وغواص﴾**.

٥- أنهم يموتون ويبعثون بعد الموت قال تعالى «أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من=

كل ما يحدث أن للناس أحاديث وأقاصيص وروايات أكثرها من أوهام الخائفين أو تصورات الخرافيين، وقد بلونا من الجماهير أنهم كثيرًا ما يتخيلون ويخالون، وأنهم يتبعون الوهم أكثر مما يتبعون الحق، ونحن لا نريد أن نربط الإيمان وعناصره القائمة على الحق بمثل هذه الترهات التي يعيش الناس وراءها ، حتى لو أن خبرًا صحيحًا قال بعض الناس: إنه شاهده أو إنه لمسه فليست الجماهير مكلفة بأن تعرفه؛ لأن شرط العلم الشيوع، والحقائق العلمية يجب أن تكون متاحة وميسرة لكل إنسان لكي تخضع لمبدأ التجربة والملاحظة والاستقراء، وهي الأمور التي نبني عليها اليقين، ولا أريد أن أتوسع في مسألة الجن وما يتصل بها بل أقف عند ما وقف القرآن عنده، وأدع ما وراء هذه لحركة الناس العقلية، وتصرفاتهم العادية، فما يصدقونه ؛ لأنه وقع في دائرة تجاربهم، وأمكنهم أن يأتوا بالدليل على صدقه كان عندهم صدقًا، وإلا فمن حقهم أن يُكذبوا، ولا مطعن في إيمانهم، فإذا قال إنسان: (أنا أكذب وجود الجن) فهو بهذا يعرّض إيمانه لزلزال لأنه يكذب القرآن(1) ، لكن إذا قال: (إن ما يتحدث به الناس عن الجن ورؤيته كذب) فأنا أكرر في هذا ما قاله الأستاذ البنا: عن الإمام الشافعي: (إنني أردّ شهادة من قال: أنا أرى الجن) لأنه في الحقيقة مخبول أو على الأقل أعطى نفسه حقوقًا في الحياة العامة لو شاعت لسرت الفوضى وسرت الأخيلة والأكاذيب فيما ينبغي أن يسوده الصدق والطمأنينة، ومن هنا لا أريد أن نفتح الأبواب أمام كلام الناس عن الجن وعن رؤيتهم(2)، ولقد حاولت بنفسي أن أجد دليلاً على ما يقولون، فسرت في الظلام كثيرًا لعلي أعثر على جن ولكن لم أجد .

=الجن والإنسان إنهم كانوا خاسرين» الأحقاف الآية رقم (١٨).

قال الآلوسي: استدل بقوله «في أمم قد خلت» على أن الجن يموتون بعد كالإنس، وكان من دعائه ﷺ أعوذ بعزتك الذي لا إله أنت الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون» البخاري ك: التوحيد ب: قول الله تعالى «وهو العزيز الحكيم» ١٣ / ٣٦٨.

(1) قال ابن حزم: من أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلاً يخرجهم عن ظاهرهم فهو كافر .. الخ الفصل ٥/ ١٢، وقال بعض المالكية : الصواب كفر من أنكر وجودهم لأنه جحد نص القرآن والسنة المتواترة والإجماع والضروري انظر: الفتاوى الحديثية ص ١١٣ .

(2) اختلف العلماء في رؤية الجن على أقوال: =

وقد لاحظت أناسًا قيل إنهم مرضى وقيل إن جنًا لبسهم ، ورأيت من أعراض المرض عليهم أنهم يتكلمون كلمات غير مفهومة، وبألسنة أخرى أو تبدوا عليهم حركات غير عادية ـ رأيت هذا بنفسي ـ لكن لم أستطع أن أستيقن أن هناك كائنًا غريبًا قد دخل هذا الجسم لأن أمراض الجهاز العصبي غير معروفة بالضبط ولا يمكن حصرها ولا إحصاؤها، وقد تكون هذا الأمراض من اضطرابات الجهاز العصبي وهو جهاز متصل بالناحية الغيبية في الكيان الآدمى من ناحية الروح.

ولسنا ندري: قد يكون هذا خلقًا آخر وقد لا يكون، ولكنّ الجزم بشيء من هذا أو لا؟ يجب أن أفصله عن الحكم بالإيمان والكفر .

من أنكر هذا، أو لم ينكره فلا شأن له بالإيمان والكفر، مثل إنسان قد يخطيء أو يصيب في مسألة من مسائل النجارة أو الحدادة فلا دخل للدين في هذا، لكن الإيمان والكفر يمكن إدخاله في إنكار الجن ابتداءً لأنه ثابت من القرآن أن لله خلقًا آخر غير الآدميين هم الملائكة ، وهم الجن، وأستطيع أن أقول بيقين إن الإنسان يتلقى وساوس ويتلقى إلهامات من الجنسين الآخرين، من الملائكة والشياطين، ويكون الإنسان فيها أشبه بجهاز الاستقبال مع جهاز الإرسال، فأهل الخير يمكن أن يتلقوا إلهامات يعين عليها ملك كريم، كما قال عليه الصلاة والسلام «لقد أعانك عليها ملك كريم»(١) أو «نافح عنه وروح القدس يؤيدك»(٢) وكما حدّثت الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ

-أ) رأي الجمهور: أن الجن يرون إذا تشكلوا في غير صورهم الأصلية في بعض الأوقات ولبعض الناس.

ب) الفريق الثاني: يرى أن رؤية الجن مختصة بالأنبياء وممن قال بذلك الشافعي وابن حزم والنحاس والقشيري.

ج) المذهب الثالث: ينكر رؤية البشر للجن سواء كانوا أنبياء أو غير أنبياء وهو قول بعض المحدثين.

د) المذهب الرابع: يتوسع في دائرة الرؤية فيثبت رؤية الجن بصورهم الأصلية للأنبياء ولمن اختص ا لله بذلك من غير الأنبياء وهذا قول الآلوسي ، وابن العربي.

راجع أدلة هذه المذاهب في [عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة] للدكتور/ عبد الكريم نوفان عبيدات] دار اشبيليا للنشر والتوزيع ـ السعودية.

(١) من قول ابن عباس قال أبو صالح سئلت عن اللمم فقلت هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب وأخبرت بذلك ابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم حكاه البغوي تفسير ابن كثير ج: ٤، ص : ٢٥٧ .

(٢) صحيح مسلم ك/ فضائل الصحابة باب/ فضائل حسان رضى الله عنه جـ١٦ / ٢٦٢ وما بعدها بألفاظ أخرى.

ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾(1) وأهل الشر هم أصحاب النفوس الساقطة الذين يألفون الشر ويمشون به في الأرض، ويمكن أن تجد الشياطين توسوس لهم ، وأن توحي إليهم ليستمتع بهذا الإيحاء الخبيث، وهذه إيحاءات معنوية وليست مادية، وكل ما يمكن أن تصنعه هي حمل الإنسان على فعل المنكر، وتجد الشياطين متعة في أن يقع الإنسان في هذا الشر .

بقيت مسألة أخرى وهي: هل هناك أمراض مادية تنشأ من أن جنًّا تسلط على بشر؟

قال هذا بعض الناس، وهو كلام يُصدّق أو يُكذّب على أنه بحث لا علاقة له بالمسائل الدينية، وإنكاره أو إقراره لا دخل له بالإيمان(2).

* * *

---

(1) سورة فصلت جزء من الآية رقم (٣٠) .

(2) يتحصن الإنسان من الجن بالأمور الآتية:

أ) الإستعاذة بالله من الشيطان الرجيم قال تعالى : **﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشيطان وأعوذ بك أن يحضرون﴾** يقول ابن كثير: ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني ودنياي أو يصددني عن فعل ما أمرت به ، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله. ابن كثير ١/ ١٧ .

ب) الإكثار من ذكر الله عز وجل عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «يعقد الشيطان على رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها، عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة كلها فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان. البخاري: كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده ٦/ ٣٣٥ .

ج) قراءة القرآن يقول ﷺ « لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» مسلم كتاب: صلاة المسافرين باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد. ١/ ٥٣٩ .

د) لزوم جماعة المسلمين: قال ﷺ «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة». أخرجه الترمذي كتاب: الفتن باب: ما جاء في لزوم الجماعة. ٦ / ٣٣٣.

التشاؤم والتفاؤل[1]

وقد افتتحها الأستاذ أحمد حمزة قائلاً:

(اعتاد كثير من الناس أن يتفاءلوا ويتشاءموا بأوقات أو أشياء معينة، فهل لهذا التفاؤل والتشاؤم سند من الدين؟).

وقد شارك الشيخ محمد الغزالي قائلاً:

لقد استوفى أستاذنا محمد البنا الموضوع تقريبًا، وليست لي إلا كليمات فيها شيء من الاستدراك - إن صح التعبير - فالإسلام يحترم العقل ويقيم عليه تعاليمه ووصاياه، ولذلك يقول للمشركين: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] فإذا نظرنا إلى أسباب التفاؤل والتشاؤم، وجدنا أمورًا لا صلة لها بعقل ولا بعلم ولا بمنطق يحترمه الناس ، ما العلاقة بين أن يخرج الإنسان من بيته فيجد طيرًا متجهًا إلى اليمين أو إلى اليسار، أو سيارة منطلقة إلى الشرق أو إلى الغرب أو كلمة فيها خير أو فيها شر، كل شيء يمشي في طريقه، ولا رباط بين ما يقع من شخص وما يقع من شخص آخر لأن هذا يسير إلى وجهته وبتفكيره، وذاك يسير إن كان عاقلاً إلى وجهته وبتفكيره.

وإذا كان طيرًا أو حيوانًا فهو يسير بغريزته ولا صلة عقلية بين هذا وذاك.

ومن هنا لا يمكن الاعتراف بأسباب التفاؤل والتشاؤم من الناحية العقلية، ويرفض الإسلام بداهة كل ما يترتب على مثل هذه الروابط التي يخترعها الناس ويريدون أن يقفوا عندها ، ويمكن أن يقال إن التفاؤل والتشاؤم لهما أصول نفسية ترجع إلى طبائع

---

(١) عقدت هذه الندوة في ١٢ من محرم ١٣٨٣هـ - الموافق ٤ يونيه ١٩٦٣م بدار المجلة .

(٢) سورة البقرة الآية رقم (١١١) .

(٣) سورة الأحقاف الآية رقم (٤) .

الناس، وإلى ما يهجس في نفوسهم من خواطر الأمن والقلق، وفي هذا يقول الشاعر:

وما الخـــوف إلا ما تخوفه الفتى وما الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا

فالمسـألة ليست براجعـة إلى ما يسميه النـاس تفاؤلاً أو تشاؤمًا ولقد حدث والجيش المصري خارج من مقاتلة الصليبيين أو التتار لا أدري على وجه التحديد أن أنشد أحد الشعراء أمام السلطان قصيدة مشهورة مطلعها:

تمتع من شمـيم عـــرار نجـــد فمـا بعــد العشية من عرار

فتضايق السلطان عندما سمع الأبيات وكره هذا الغناء، ولكنه مضى في طريقه ووفق المصريون في مقاتلة الصليبيين.

وما كان هناك من داع إلى أن يتفاءل أو يتشاءم أحد بمثل هذا الكلام.

والحديث الذي روي فيه (أن الطيرة شرك)[١] ورواه ابن مسعود وهو يعقب على الحديث فيما صح من الروايات فيقول وما منا إلا ويهجس في نفسه هاجس من قلق أو من طمأنينة، بحسب ما يحيط به من ملابسات، ولكن المؤمن يترك هذا كله ويتوكل على الله في تصرفه[٢] ، ويخيل إلى أن السبب في تسمية الطيرة شركًا أن الأمور التي تنسب إلى الغيبيات وتضاف إليها أوصاف لا نعرف لها أساسًا مرجعها إلى الله ابتداء.

فمثلاً يقال: (**إن في يوم الجمعة ساعة طيبة لا يدعو فيها عبد إلا استجيب له**)[٣] هي ساعة من ضمن الساعات الأخرى لماذا يكون مكان أفضل من مكان، أو زمان

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٨٩) ، أخرجه ابن حبان في صحيحه (موارد ١٤٢٧ ص : ٣٤٥) ، والحاكم في مستدركة ١/ ١٧ ، ١٨وصححه الحاكم ووافقه الذهبي والألباني في الصحيحين ٢/ ٧١٦ ، وأبو داود في سننه وابن ماجه في سننه ٢/ ١١٧٠ .

(٢) هذا كلام ابن مسعود بالمعنى ولفظه : «وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل» الترمذي (٤ / ١٦٠) وابن حبان في الموارد (٣٤٥) ، وابن القيم في مفتاح دار السعادة ص : ٥٨٨ وغيرهم .

(٣) في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه، وقال: بيده يقللها » البخاري ٢/ ٣٤٤ في الجمعة: باب: الساعة التي في يوم الجمعة ، ومسلم في الجمعة باب في الساعة التي في يوم الجمعة (٨٥٢) . راجع مذهب العلماء في الساعة في زاد المعاد، ج١، ص ٣٧٦ ، ط: مؤسسة الرسالة.

أفضل من زمان، مع أن الأمكنة والأزمنة سواء.

الذي قام بهذا التفضيل - هو الله وحده - لأمور عنده، فتوسع الناس في تفضيل ساعة على ساعة أو مكان على مكان .

هذا هو الأمر الذي يصل إلى مرتبة الشرك، بل ليس لهم هذا، مما اختص المولى لأن كثيرًا من المتدينين يتزيدون على الدين في أمور فيكون تزيدهم هذا عن طريق شيء عادي، مثلاً: يفتح المصحف ويجد آية فيها ما يدل على شيء فيتفاءل، وهذا غير مقبول ولو كانت آية من مصحف، ولا يقبل من إنسان أن يبني تصرفه على مثل هذه الأوهام. وإنما يتحرك الإنسان بفكر حر ويمضي بعزيمة تامة ولا ينبغي أن يربط نفسه بغيبيات مبهمة، ولا يجوز باسم التدين أن يفصل الأسباب عن مسبباتها الحقيقية، ويزعم أن لهذه الأمور أشياء أخرى من تفاؤل أو تشاؤم.

والأحاديث التي ورت من (أن المرأة شؤم)[1] أحاديث تدل على أن المرأة شؤم فعلاً إذا كانت سيئة .

أي ليس هناك أمور غيبية في الموضوع إنما هي أمور محسوسة .

فشؤمها في سوء خلقها وشؤم الدار في ضيق مرافقها، وليست هناك أمور مبهمة كأن يسكن إنسان أحد الأماكن فيصاب بخراب في تجارته أو بانهيار في أحواله؛ لأن الدار شؤم أو أن من يسكنها تحل عليه اللعنة هذا لا يمكن ولا يتصور، وغير صحيح ولا يعترف الإسلام به .

ومن المؤسف أن الصحف تحدثت عن ساعة شؤم في يوم الجمعة، ويوم الجمعة ليس فيه ساعة شؤم بل فيه ساعة طيبة، ولا شك أن يوم الجمعة (خير يوم طلعت فيه الشمس)[1] كما صح في الأحاديث، فيما ورد إلينا من أحاديث يجعلنا نوقن بأن

---

(١) حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس والمرأة والدابة» أخرجه البخاري في الجهاد والسير باب : ما يذكر من شؤم الفرس . رقم (٢٨٥٨) (٦/ ٧١) .

الطعن في يوم الجمعة طعن وصل إلينا من جهات تكره يوم الجمعة لأنه شعيرة الإسلام ويوم عيده، والطعن فيه لا يقبل، فنحن نريد أن نربط أنفسنا بالأسباب الصحيحة، وأن نبني مسالكنا على الإرادة الثابتة التي لا تنهار أمام أوهام، والإسلام أقامنا على هذا.

ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام كان حكمًا في قضية فقام الرجل الذي حكم عليه متثاقلاً وقال لا حول ولا قوة إلا بالله، فتضايق الرسول ﷺ منه لأنه قال كلمة فهم منها الرسول ﷺ أنه غير راض عن حكمه، فقال له ما معناه: إن الله يلوم على العجز إذا حزبك أمر فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله[٢] . يعني إذا غلبك شيء.

إن الإنسان يمضي بإرادته في الدنيا في منتهى القوة ولا ينطق بكلمة اعتمادًا على الغيوب، إلا أن يجد شيئًا من الخوارق التي توقف الإرادة الإنسانية مثل ما حبست ناقة الرسول ﷺ وأن السماء تدخلت بكلمتها في حادث الفيل.

إذن لا إرادة له هنا ولا مجال للإرادة الإنسانية أما حيث يكون هناك مجال للإرادة الإنسانية فلا يجوز للإنسان أن يترك شبرًا من جهد، أو من فكر، أو من إرادة، لأمر ما.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢ / ٥٨٥ بلفظ «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة..» من حديث أبي هريرة في الجمعة : باب: فضل يوم الجمعة.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود (٣٦٢٧) في الأقضية: باب: الرجل يحلف على حقه، وأحمد في المسند ٦/ ٢٤، ٢٥ من حديث عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ قضى بين رجلين فقال المقضى عليه لما أدبر: حسبي الله ونعم الوكيل ، فقال النبي ﷺ «إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل»، وفي سنده سيف الشامي لم يوثقه غير ابن حبان والعجلي.

وراجع فقه الحديث في زاد المعاد ج٢، ص ٣٢٩، ٣٣٠ ط : الرسالة .

ادعاء معرفة الغيب[1]

بدأت بقول الأستاذ أحمد حمزة:«يعمد بعض الناس لحاجات في نفوسهم إلى أن يستطلعوا أمور الغيب بوسائل شتى، ويدعى بعضهم أن له معرفة بالغيب، ويسلكون في ذلك طرقًا يصطنعونها، فهل هذا يتفق مع قوله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(٢٦)إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[2] .

وقد شارك فيها الشيخ الغزالي قائلاً:

صريح القرآن الكريم أن الله عز وجل استأثر بعلم الغيب، فلم يُطلع أحدًا من الناس عليه إلا في الحدود التي ذكرها القرآن الكريم أيضًا ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3] .

وعندما سئل النبي ﷺ عن الساعة قال : «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[4] وذلك بأن نبأها في تلك الخمس التى لا يعلمها إلا الله جل شأنه، وصدق من قال:

إنما الغيب كتاب صانه عن عيون الخلق رب العالمين

ليس يبدو منه للناس سوى صفحة الحاضر حينًا بعد حين

ويبدو أن الكهان والمنجمين والعرّافين وأمثالهم ممن يتعرفون علم الغيوب يتحرجون من القول مباشرة: إنهم اطلعوا على الغيب فمنهم من يزعم أن الغيوب التي يكشفون

---

(١) عقدت هذه الندوة في مساء الثلاثاء ١١ من صفر ١٣٨٣هـ الموافق ٢ يولية ١٩٦٣م بدار لواء الإسلام .

(٢) سورة الجن الآيتان (٢٦، ٢٧) .

(٣) سورة لقمان الآية رقم (٣٤) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ج١، ص٢٧، رقم ٥٠، ج٤، ص ١٧٩٣ رقم ٤٤٩٩ ، ومسلم في صحيحه ج١، ص ٣٦، رقم ٨ ، ٩ .

الستار عنها في بعض الأحيان إنما ترجع إلى نوع من العلم، أو نوع من المعرفة.

يسمى مثلاً علم التنجيم أو علم الاتصال بالأرواح أو ما إلى ذلك .

ونحن نقرأ الصحف - للأسف - اليومية والأسبوعية ونستمع أحيانًا للتليفزيون فنجد أن كثيرًا من المثقفين يتناولون هذه الصحف، ليعرفوا من تواريخ ميلادهم ما هو طالعهم؟

فهل ولدوا مع استدارة الفلك أو مع كوكب كذا - وهو كوكب سعد، أو كوكب نحس - وما إلى ذلك ؟

وربما كانت لهم في هذا حسابات تسمى (حسابات الجُمَّل) ، يعرف بها من اسم الإنسان واسم أهله (أمه) مستقبله، يتبع أحد الكواكب .

هذا الكلام كله تخريف وأكاذيب، وما ينبغي لعاقل أن يتبع هذا اللغو، فإن العلم لايمكن أن يكون متصلاً عن قريب أو عن بعيد بمثل هذه الأمور، وليس في وحي الله ولا في تجارب الناس أن إنسانًا يولد وللكواكب سيطرة على مستقبله، وإنما هذا من الجهل الذي نهينا عن اتباعه ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[1] .

وعلم التنجيم الذي يمكن الاعتراف به هو علم الفلك الذي يتبع بحساب دقيق ومراصد تشهد بأجهزتها وأدواتها مسير النجوم في داراتها الفسيحة؛ لتعرف مشارقها ومغاربها، والكسوف والخسوف، والأبعاد والأضواء وما إلى ذلك.

وهذا حساب علمي دقيق، يرجع إلى تجارب الناس ومشاهداتهم، أمّا ما يتصل بالغيوب والسعد والنحس والصحة والمرض فهذا كله لا يسمى علمًا قط.

ربما يدخل في ميدان العلم التنبؤ بالظواهر الجوية؛ لأن التنبؤ بالظواهر الجوية ليس

(١) سورة الإسراء الآية رقم (٣٦) .

من معرفة الغيب إنما هو حساب دقيق، يشاهدون على مسافات بعيدة ما يعرفون به اتجاه الريح، ودرجات الحرارة، وما إلى ذلك ، ويحسبون من مسيرها العادي أنها ستصل إلى بقعة كذا، وحالتها كذا .

ومع هذا الحساب الذي يقوم على التجارب العادية فإن هذا لا يسمى علمًا يقينيًّا إنما هو علم ظني بمعنى أنه يفيد الرجحان، وقد يتخلف، ولا يجزم أحد هؤلاء بأن ما أتى به لابد أن يقع، فقد تحدث كما يقولون ممرات هوائية مفاجئة أو جبهات باردة يسقط لها المطر، وما كان في الحساب أن يسقط.

وهذا يفيد أن تنبؤات الجو لا تعدو أن تكون ظنونًا ويغلب أن تصدق وليس من معرفة الغيب ولكنها من تتبع الحاضر من مسافات بعيدة .

هناك ما يتصل بالإلهامات وبمعرفة الغيب عن طريق الصالحين ورؤاهم أو كشوفهم، وأحب أن أقول في صراحة إن الإلهام أولاً ليس مصدرًا من مصادر العلم، قد يكون لصاحبه بابًا إلى الاستئناس الخاص.

ولكن لم يقل أحد من العلماء إن الإلهام باب إلى معرفة حكم شرعي، أو إن الناس ملزمون بتصديق إلهامات الآخرين والأخذ بها. ومع أن الحديث الصحيح يقول:«**من رآني فقد رآني حقًّا فإن الشيطان لا يتمثل بي**»[1] اتفق العلماء على أن من زعم أن الرسول عليه الصلاة والسلام جاء وألقى إليه بكلمات فإن هذه الكلمات تخص صاحبها يلتفت إليها أو لا يلتفت إليها، وإنما ليس ما يقوله حديثًا من الأحاديث الشريفة التي تعتبر من مصادر الأحكام فلا الناس يأخذون أحكام دينهم عنها ولا يتقيدون بها، فإن الشريعة قد كملت من عصرها الأول، وما يرد من هذه الإلهامات في الرؤى أو في اليقظة أو ما إلى ذلك لا يقيد أحدًا من الناس قط، قد يكون كما قلت مصدرًا من مصادر الاستئناس الخاص لأصحابه لكنه ليس أبدًا بابًا من أبواب المعرفة

(١) الإمام البخاري في صحيحه ج١، ص ٥٢ رقم ١١٠، ج٥، ص ٢٢٩٠، رقم ٥٨٤٤ والإمام مسلم في صحيحه ج٤، ص ١٧٧٥، رقم ٢٢٦٦ بدون لفظ «حقا» .

التي يلتزم بها فمثلاً : قصة «ياسارية الجبل»(١) الذي يكثر الناس من تردادها من حق أي إنسان أن ينكرها، فقد وردت بسند من أسانيد الآحاد فهي ليست عقيدة عامة ولا ألتزمها، مع أن عمر رضوان الله عليه من المحدّثين الذي صح كلام النبي عليه الصلاة والسلام أنه أهل إلهام، لكن الشريعة في قواعدها العامة وفي أحكامها السارية مع الزمان والمكان لا تؤخذ من هذه الأحاديث الآحادية أو الكرامات الفردية، ومن حق أي إنسان أن يقول: قد تصح هذه الكرامة لصاحبها، ولكن أنا لا ألتزم بها، وإذا كنت أكذبها فليس من حق أحد أن يلزمني بها، ومن هنا ليست الغيوب - إطلاقًا - مصدرًا عند هؤلاء الذين يزعمون أنهم أوتوا الغيب .

هذا .. ولقد سمعنا أستاذنا الشيخ البنا يقول: إن الاستخارة باب من أبواب معرفة الغيب، والواقع أن الاستخارة التي تعلمناها من الأحاديث الصحيحة(٢) ليس فيها هذا، فلا تعدو أن تكون دعاءً مجردًا، ثم ينشرح صدر الإنسان بعد ذلك بحسب توفيق الله وتوجيهه له إلى ما يفعل وإلى ما يدع أما ما ينتظر من أنّ الاستخارة تفتح ثغرة من الغيوب لكي يستكشف الإنسان أنّ هذا خير فيفعله ، وأن هذا شر فيتركه ، لا: ليس هذا بصحيح .

واستمعنا إلى أساتذتنا البنا والسبكي في الآية ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(٢٦)إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾(٣) ، الآية تُذكر بما قبلها وبما بعدها.

---

(١) رواه البيهقي بسنده عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب بعث جيشًا وأمّر عليهم رجلاً يدعى سارية قال : فبينما عمر يخطب قال: فجعل يصيح وهو على المنبر «ياسارية الجبل يا سارية الجبل» قال : فقدم رسول الجيش فسأله فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا وإن الصائح ليصيح «ياسارية الجبل» فشددنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله، فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك .

أخرجه البيهقي في الدلائل (٦/ ٣٧٠) وأبو نعيم في الدلائل رقم (٥٢٥) ، (٥٢٨) وابن عساكر في تاريخ دمشق ص ٢٨٦ (ترجمة عمر) واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة رقم (٢٥٣٧) ، وجود بن كثير بعض أسانيده في البداية والنهاية (٧/ ١٣١) وقال بعد أن أورده من طرفة «فهذه طرقه يشد بعضها بعضًا» .

(٢) حديث الاستخارة رواه البخاري في التوحيد باب: قل هو القادر (٧٣٩) (٣/ ٣٨٧) ولابن القيم كلام نفيس في تعليقه علي حديث الاستخارة في مدارج السالكين .

(٣) سورة الجن الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

ما قبلها : ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ .

فما توعدون هل هو الساعة كما قال الفخر الرازي في بعض تفاسيره؟

لا ؛ لأن ما قبلها أيضًا الآية: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾.

فهل (ما يوعدون) هنا هو الساعة؟ أو هي العقوبات التى وردت في الغزوات التى وقعت وانتصر المسلمون فيها وفي سورة السجدة بيان بهذا ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1] فالعذاب هنا قسمان عذاب معجل في الدنيا وعذاب مؤجل في الدار الآخرة، فالكلام أن الساعة هنا تفسير مؤكد للغيب ليس مما يسلم للفخر الرازي.

والواقع أن كلام الكشاف في هذا ـ وهو يصور رأي المعتزلة، وإن كنت لا أتفق مع المعتزلة في كثير من أقوالهم ـ إلا أن الكلام واضح في أن الاستثناء صريح في أن علم الغيب ليس إلا لله ، وأنه إذا كان المرسلون من البشر يعلمون شيئًا من الغيب فهو شيء محدود، صحيح فضيلة الشيخ السبكي انتقل بالموضوع إلى أن المرسلين ليسوا من البشر إنما هم الملائكة، يقفهم الله على جزء من العلم لأغراض معينة، وهو يتحول علمًا مشاهدًا بعد أن يترك مجال الغيب بانتقاله عن الله ثم ينقلونه إلى هؤلاء المرسلين، والأستاذ البنا أشار إلى أن الرسول ﷺ أعم من أن يكون رسولاً من الملائكة أو من المرسلين أو من الملهمين العاديين، وفتح الباب على مصراعيه بهذا الشكل الواسع.

الواقع أن من حق الكشاف عندئذ أن يقول: لا .

من ادعى من الأولياء أنه أوتي علم الغيب فهو كاذب، والاستثناء ينص على أن الغيب التي يطلع عليها المرسلون إنما هي غيوب جزئية وموقوتة ومتصلة برسالاتهم ، كأن يطلع الله ـ مثلاً ـ نبيه على أن الروم سينتصرون بعد أن هزموا لأنه يتصل

(١) سورة السجدة الآية رقم (٢١) .

بمستقبل الرسالة نفسها التي حملها هذا النبي نفسه . فيكون التصديق الواقع لما قال معجزة له، أما أن يقول الناس: إنهم يعلمون شيئًا من الغيب الجزئي أو الكلي بيقين فهذه مراغمة لنصوص الكتاب والسنة، وأنا لا أعرف أحدًا أشرف من رسول الله ﷺ ولا أكرم على الله منه، ومع هذا فهو يقول - والاعتراف قائم بينه وبين المشركين ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾[1]، ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[2] .

لقد دخل في عراك مع المشركين في أُحد وهو لا يدري مع أنه رأى في المنام رؤيا فيها ما يجعله يتشاءم من خوض المعركة .

يقول: «رأيت مذبوحًا»[3] وما إلى ذلك ولو أن هذه الرؤيا تفيد العلم بيقين لالتزم بها .

وقال لا نخرج إلى مذبحة ولكنه نزل على رأي أصحابه لما وجدهم كثرة ظاهرة تريد أن تقاتل ولبس (لامته) واشترك في القتال، وهو لا يدري أن مصارع سبعين من أصحابه خطت مع هذه المعركة المحزنة، فهؤلاء الأنبياء مع جلالة قدرهم لا يعرفون الغيب.

فكيف يجئ من يساوي ومن لا يساوي ، ويقول أنا أعلم الغيب، ثم يزعم أن علم الغيب ارتبط بخرافات من حروف هجائية وحسابها، والمشترى وزحل والمريخ ومسيره، وانطلاقات الكواكب في الفضاء، هذا كله تخريف، لا ينبغي للمؤمنين أن يتصلوا به، وقد بيّن فضيلة الشيخ السبكي أن للجن اطلاعًا على بعض ما ينزل من أمر

(١) سورة الأحقاف الآية رقم (٩) .

(٢) سورة الأعراف الآية رقم (١٨٨) .

(٣) راجع تفاصيل الرؤيا في سيرة ابن هشام ج٢، ص ٦٢، ٦٣ محمد رسول الله للشيخ/ محمد الصادق عرجون، ج٣، ص ٥٥٠ .

الله إلى عـالم الشـهادة، ولكن هـذه الأمور التى يطلـع عليهـا هؤلاء الجـن وهي نازلـة تضاف إليها أضعاف مضاعفة من الأكاذيب ، ثم هي في عصرنا بعد رسالة محمد قلت قلـة ظاهرة ، ومـن هنا يجب إغلاق البـاب أمام الكهـان وأمام العرافـين وأمام الدجالين وأن يقـال في صراحة جازمـة إنـه لا أولياء ولا شـياطين يعرفون الغيب، وإن الغيب إلى ا لله، أي علـى الناس أن يجتهدوا في علم الحـاضر لعلهم ينتفعون بما في عـالم الشـهادة مما يصلح أحوالهم وأمورهم .

* * *

أسطورة تبرئة اليهود من دم المسيح[1]

قد استهلها الأستاذ أحمد حمزة قائلاً: ما موقف القرآن من اليهود؟ وما موقف المسيحية منهم؟

وما الرأي في الوثيقة التي تبرئ اليهود من الاعتداء على المسيح؟

نرجو أن نتناول الندوة هذا الموضوع بالتفصيل.

وقد شارك فيها الشيخ محمد الغزالي قائلاً: اليهود شعب خبيث، ذكي في خبثه، قادر بعيد الغور في قدرته، وهو يكره العالم؛ لأنه يرى نفسه صاحب مكانة مسلوبة، ويعتقد أن قيادة العالم الأدبية يجب أن تكون في يده. وهو في هذا يصدر عن اعتقاد وثيق أنه شعب الله المختار، وأن بني إسرائيل من القدم هم الأوصياء الحقيقيون على هذا العالم ، وقد تكون بدرت منهم سيئات عوقبوا عليها بالتشريد، ولكن العقوبة إلى مدى ينتهي ثم يعود لهم الرضوان الإلهي كما يتصورون، ويملكون العالم مرة أخرى.

وهم بسبيل تنفيذ خطتهم هذه وفق المخططات التي سجلت في كتبهم، إن كانت التوراة التي في أيديهم أو التلمود الذي يتدارسونه بينهم .

وأسلوب اليهود في بلوغ أهدافهم تمليه عليهم طبيعتهم القليلة؛ لأن المكثر في عدده لا يبالي أن يواجه العالم في ساحات مكشوفة وميادين صريحة، ويحارب بالسيف في وضح النهار، ولكن الشخص إذا كان قلة لم يلجأ إلى حرب من هذا النوع قد تنتهي بصرعه في أقرب ساحة، إذن يلجأ اليهود إلى المؤامرات والمداورات والمحاورات، وهم في هذا الطريق نجحوا.. وفي هذا الأسلوب نجحوا.

وإذا كان الإسلام في عهد النبي ﷺ قد أجلاهم عن الجزيرة العربية بقوة السيف في

---

(١) عقد هذه الندوة في مساء الثلاثاء ١٤ من جمادى الثانية عام ١٣٨٤هـ الموافق ٢٠ أكتوبر ١٩٦٤م.

ميادين مكشوفة بعد أن بدأوه بالعدوان، فقد ثأروا لأنفسهم بأسلوبهم الخبيث في ذكائه، الذكي في خبثه ، استطاعوا أن يثأروا لأنفسهم فكانوا فيما يعلم الناقدون من المؤرخين وراء مقتل الإمام الكبير عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه .

وهم في فتنة عثمان رضي الله عنه كانوا أصحاب عمل بعيد الغور أيضًا وعملهم بعد ذلك في تلويث الثقافة الإسلامية والكيد لها عمل واسع، وقد استطاعوا أن يذهبوا إلى أوربا وأن يستغلوا الفراغ النفسي والفكري في المجال المسيحي، وأن يسدوا هذا الفراغ فيكونوا هم قادة الاقتصاد وقادة التشريع وقادة علم النفس وقادة المذاهب الاجتماعية وما إلى ذلك .

فهم قادة الغرب ولا شك أنهم يصنعون الآن الكثير ، ولكن أرجع من هذه الجولة السريعة إلى موضوعنا ؛ لأن هذه مقدمة له.. لا أستطيع الفصل بين هذه الندوة وبين ما يدور الآن في أعظم المجالس المسيحية التي تسمى (مسكونية) وهي المجالس التي تجمع الآباء الحقيقيين الكبار من كنائس المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية ، فالمسيحية الآن تجمعت كلها في روما سواء كان الكاثوليكيون الذين يخضعون للزعامة الروحية والدينية للبابا، أو البروتستانت والأرثوذكس الذين لا يدينون بهذه القيادة الروحية ولكنهم يشاركون الآن في إصدار هذه الوثيقة التي ينبغي أن نتأمل فيها وأن نجعل ندوتنا هذه لا تغمض العين عما يجرى هنالك(١) .

---

(١) ينبغي ألا نغمض أعيننا عن سياسة التعاطف والتقارب بين النصاري واليهود التى ينهض بها الفاتيكان في عهد البابا يوحنا الثاني حيث قال عام ١٩٨٦م «نحن المسيحيين ندرك أن تراث اليهود متداخل مع تراثنا، واليهود هم إخوتنا الأكبر» وفي عام ١٩٩٣م اعترف الفاتيكان بإسرائيل دبلوماسيًا ، وفي عام ١٩٩٨ اعتذر الباب عما يمكن أن يعبر عنه بتسهيل الكنيسة (للهلوكست) واعتبره خطيئة القرن العشرين ، وفي عام ٢٠٠٠م عندما زار الكيان الصهيوني وضع رسالة اعتذر على الجدار الغربي للقدس وطلب [مسامحة من الله عن أولئك الذين ارتكبوا الخطايا ضد اليهود على مر العصور] .

وفي عام ١٩٩٠ م في بولندا حدد الأساقفة رغبتهم عبر وثيقة كتبوها تبرئ اليهود من تهمة قتل المسيح و لم تلق هذه الرغبة اعتراضًا من الفاتيكان مع مخالفتها للنصوص الإنجيلية التى وضعها المجمع المسكوني عام ٣٢٥م . ثم جاء البابا بندكت السادس عشر والذي خطب في ٢٤ إبريل ٢٠٠٥م ورحب باليهود الذين يرتبط معهم كإخوة ذوو تراث روحاني مشترك . راجع مجلة المجتمع العدد ١٦٥٠ ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥م مقال للأستاذة/ ديمة جابر. جامعة أم القرى .

المشـكلة - الآن في نظري - ليست مشـكلة بين المسـلمين وكتـابهم، وبين اليهودية والنصرانية وكتبهـا فقط، بل المشكلة الآن تفسـر على نحو واحد: نحن نعتقد من كتابنا أن قتل عيسـى ابـن مريم إشـاعة كاذبـة وأن التاريخ في هذا لا يسـتطيع أن يـأتي بحجة مقبولة، ولا موفقة في أن عيسى قتل.

وأن القرآن الكريم عندما قـال كلمته: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[1] كذّب جميع الأوهام التي دارت في رؤوس الكهنة والتي روّجها هؤلاء، وليسـت المشكلة أن رجلاً قتل أو لم يقتل، فنحن نؤمـن بأن اليهـود قتلـة الأنبياء، ويكفـي في إثبات أنهـم شـعب مجرم أنهم قتلوا بعض الأنبياء، وقتل بعض الأنبياء جريمة أثبتها القرآن عليهم ، ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[2] .

فكونهم قتلوا الأنبيـاء هذه حقيقة أثبتهـا الكتاب الوحيد الذي يتصل بالسـماء صلة محترمـة، ومن هنا نحـن ندين اليهود بتهمـة قتل الأنبيـاء، أما قتـل عيسـى بالذات فنحن يجب أن نرفع العقائر بقوة ونقول إنه لم يقتـل، وعندما تصدر هذه الوثيقة نقول كذب المسيحيون أنفسـهم عندما قالوا قتل عيسى، وكذبوا كتبهم التي تروّج لهذه الأكذوبة، وأثبتوا بهذا أنهم قوم يخدعون أنفسهم ويريـدون أن يخدعوا العالم معهم، لكن المشكلة في نظري ليسـت مشـكلة قتل رجل فعيسـى ليس إلا بشـرًا، وإذا كـان قد قتـل كما يتصور بعض الناس فما هـو إلا نبي قتل كما قتل غيره مـن الأنبياء ، ولكن المسيحية لا تنظر إلى قتل عيسـى على أن رجل قتل، يجب أن نتصور المعنى الآخر وهو أن المسيحية تعتقد أن عيسـى إلـه أو شبه إلـه، صلب فـداءً لخطايا الخلق جميعًـا، وأن عقيدة الفداء ليسـت نصف المسـيحية فقط بل ثلثا المسيحية، ويوم يهتز قتل المسيح سـتهتز المسيحية

(١) سورة النساء جزء من الآية رقم (١٥٧) .
(٢) سورة المائدة الآية رقم (٧٠) .

كلها، وبذلك من حقنا أن نقول إن القرآن كان حاسمًا وصريحًا يوم أن قال(١) إن عيسى لم يقتل، وإذا كان المسيحيون قد ثابوا إلى بعض رشدهم الآن، وبرّأوا جزءًا من الناس من قتله فليبرؤا الجزء الآخر، وليعلموا أن الديانة كلها في ركيزتها التي قامت عليها ديانة غير سليمة وغير محترمة ، يجب أن ندرك أن الاجتماع القائم الآن في روما يغذّيه حقد غبي، وأن هؤلاء الناس هم الذين يساندون إسرائيل ويقوّونها ويعطونها السلاح، وإسرائيل إنما تعتمد على القنبلة الذرية الأمريكية وتعتمد على فرنسا وإنجلترا في بقائها في هذه المنطقة، فالصراع الحقيقي ليس بيننا وبين اليهود وحدهم وإنما الصراع الحقيقي هو بيننا وبين الاستعمار لكل ما ورث من أحقاد قديمة ضد هذا الإسلام، إن القرآن عندما تناول اليهود تناولهم على نطاق واسع ولا أعرض لنواحي كفران اليهود لنعم الله عليهم، إنما أريد أن أنبه إلى شيء يتحدث اليهود عنه وهو أن فلسطين هي الأرض المقدسة التى كتبت لهم .

وأن يعقوب هو حفيد إبراهيم الخليل وهو الملقب بإسرائيل، وأنه كان ربّ أسرة من أحد عشر أو اثنى عشر شخصًا، وأن هؤلاء الأفراد كانوا بدوًا يضربون في الصحراء التي تجاور مصر، وليس للبدو وطن ولا يمكن لرجل له اثنا عشر ولدًا أن يعتبر نفسه مالكًا للأرض المقدسة، فإسرائيل اسم يطلق على يعقوب الذي استضافته مصر عندما تمكن يوسف الخليل برضوان الله عليه وتمكين الله له من أن يكون وزيرًا للمال في مصر أو حاكمًا لها، فجاء البدو هنا واستضافوا أهله ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾(٢) ثم عاش يعقوب وأولاده ، ووقيل: إن ولاءهم للأرض التي آوتهم لم يكن واضحًا، وقيل: إنهم لم يحاربوا الهكسوس، أو أنهم انضموا إلى الهكسوس عندما غزوا مصر، أو كان لهم موقف مع الوطنيين.

المهم أن فرعون استغل الخصام الذي وقع بين الإسرائليين في مصر وبين كتلة

(١) يعنى قوله تعالى : ﴿وما قتلوه يقينًا﴾ وقد سبقت الآية .
(٢) سورة يوسف الآية رقم (١٠٠) .

الشعب المصري، وأوقع بهؤلاء الإسرائليين مذابح مروّعة تنكرها الإنسانية، وقد جاء موسى برسالة من الله أن أدّوا إليّ بني إسرائيل[١] .

الرسالة كانت رسالة استنقاذ لهذا الشعب وتحرير له، ولم يخرج موسى ببني إسرائيل إلى فلسطين وهي خالية من أهلها بل كان الجبارون يسكنونها، وجبُن هؤلاء عن قتال الجبابرة ودخل اليهود فلسطين بعد مراحل يطول عليها الكلام[٢] ولم يُكوّنوا هناك مُلكًا دينيًّا على النحو الذي يطلبه الدين منهم، بل بمقدار ما مكنهم الله بمقدار ما أفسدوا، ولقد آتاهم الله الرسالة لكي يؤدوا حق الله عليهم فلما لم يؤدوا هذا الحق نكل بهم ونال منهم ومزقوا في الأرض كل ممزق[٣] .

لكني : أحبّ أن أنصف أعدائي، هؤلاء قوم وإن كانوا قلة فقد بقيت لهم مواريث من الذكاء استطاعوا بها أن يسخروا أعتى الجهات العالمية لخدمتهم، فهم في الجبهة الشرقية أو الغربية لايزالون ملوك العالم وقادة التفكير، وهم الذين يغرون بنا الآن الأمم الحاقدة علينا من الصليبيين والمستعمرين .

وأريد في إيجاز أن أخلص إلى الحقائق الآتية :

اليهود شعب خبيث وذكي ، وهم الآن يضحكون على الأمم الصليبية ويستغلون حقدها على الإسلام ويجعلونها تنخلع من عقيدة من عقائدها، فنحن بالمرصاد لهذا الذي يحدث كي نفضح به أعداء الإسلام ونكشف به النقاب عن قيمة العقائد التي تروج بينهم .

* * *

---

(١) أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى بقوله تعالى : ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (طه: ٤٧) .

(٢) أشار القرآن الكريم إلى هذه المرحلة في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ(٢١)قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ(٢٢)قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٢٣)قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ(٢٤)قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ(٢٥)قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢١-٢٦) .

(٣) بل كتب عليهم سوء العذاب إلى يوم القيامة ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٦٧) .

التلقيح الصناعي في نظر الدين[١]

وقد استهلها الأستاذ أحمد حمزة قائلاً:

«نشـرت بعض الصحف أن عالمًا إيطاليًّا قام بعملية تلقيح صناعي في معمل كيمياوي، واستطاع أن يوجد جنينًا عاش فترة من الزمان ثم مات، نرجو أن نتناول الندوة هذه المسألة بصفة خاصة، والتلقيح الصناعي بصفة عامة» .

وقد تحدث فيها الشيخ الغزالي قائلاً:

ليس لدي مزيد من التفصيلات العلمية أو الفقهية، يمكن أن يضاف إلى ما استمعنا إليه وغاية ما لديّ من تعقيبات أن التفكير الماديّ الذي نشهد ظواهر له فيما يترامى إلينا من أنباء تنشرها الصحف يعطينا فكرة عن اتجاه هذا التفكير، نسمع مرة أنهم أعادوا الحياة لمن فقد الروح ونسمع حينًا آخر أنهم أمكنهم اصطناع الأجنة في أنابيب الاختبار، ويخيل إليّ أن هذه المحاولات تنبئ عن اتجاه التفكير المادي في أوربا، فهي تشير إلى أنه ليس أمام العلماء من عوائق أو صعوبات مستحيلة التخطي، وأنهم واصلون يومًا في نهاية الطريق الذي بدأوه لأنهم يعتقدون فعلا أنهم من الممكن أن ينشؤوا الحياة وأن يسيطروا عليها، في اعتقادي أنه إلى الآن ثابت عجز البشر قاطبة عن صنع الحياة، فإذا أمكن فعلاً أن يجمع طبيب بين خلية الذكورة وخلية الأنوثة فهو يجمع بين خلايا أودع فيها واهب الحياة هذه الحياة من قبل، ففكرة أن البشر يستطيعون إنشاء الحياة أو خلق الروح مستحيلة للآن[٢] ، ويبدو أنها ستظل مستحيلة أبد الدهر والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ

---

(١) عقدت هذه الندوة في مساء الثلاثاء ١٣ من رجب عام ١٣٨٤هـ - الموافق ١٧ نوفمبر ١٩٦٤م بدار مجلة لواء الإسلام .

(٢) هذه الفكرة مستحيلة دائمًا لأن الله هو المتفرد بالخلق قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُم هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ ويقول تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ...﴾ ولكن الشيخ يحاورهم بنفس منطق الحوار المادي.

أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[1] .

ولا بأس علينا أن نتابع الإنسان وهو يحاول الطيران في الجو الأرضي أو يحاول أن يصل إلى بعض الآفاق البعيدة أو بعض الكواكب، إن وصل أو لم يصل فهذه محاولات لا تعدو أن تكون إلى الآن في نطاق الممكنات العادية .

أما فكرة إن الإنسان يكتنه الأشياء ويصل إلى فهم أعماقها وأغوارها ويستمكن من خلق الروح فإن الإنسان لو وصل إلى هذا لتحول إلى إله.

محاولة خلق جنين ومتابعة أطواره بين أيدينا حتى ندخله المدارس وحتى يتحول الجنين إلى بشر كامل كما تتحول الحيوانات إلى دوابّ تذبح في السلخانات لا يمكن أن يقع هذا .

وفي اعتقادي أن الأخبار التي ترد تدخل في كثير من الدعايات التي يمكن أن توصف بأنها كذب وعندما أقرأ أن أطباء روسيا فعلا أعادوا الحياة إلى ميت أفهم أن هذا كذب، فالشخص مغمى عليه وعادت له اليقظة، أما القول بأنه فقد الحياة فعلاً وأنهم ردّوا إليه الروح فهو كذب، وعندما قرأت أن الطبيب الإيطالي صنع جنينًا لم أتردد في أن الخبر مكذوب من أساسه، و مثل هذه الأخبار في اعتقادي نوع من الدعايات يروّجها فلاسفة المادة أو أتباع التفكير المادي في الأرض ليشوّشوا على الأديان وعلى ما وراء الغيب أو ما وراء المادة في الناحية الدينية، وأرى أن نسارع إلى تكذيب مثل هذه الأمور لأنها غير صحيحة[2] .

* * *

---

(١) سورة الكهف الآية رقم (٥١) .

(٢) الاستنساخ الذي نجح في عالم الحيوان حيث تم تخليق النعجة (دوللي) من غير التقاء الذكر بالأنثى بل أخذوا البيضة من نعجة معينة وزرعوها من نواتها ثم جاءوا بخلية حية من جسم النعجة ووضعوها مكان النواة فانقسمت وتكاثرت كما في البيضة الملقحة بعد أن وضعت في رحم الشاة، وتم النمو الجنيني المعتاد حتى ولدت شاة كاملة مشابهة للأولى تمامًا، وهذا كما سبق خلقًا لحياة من عدم وإنما هو استخدام للحياة التى خلقها الله فالبيضة والخلية كلاهما من خلق الله . ولا دخل للإنسان بل لا قدرة له على شئ من ذلك؟

راجع فتاوى معاصرة د/ يوسف القرضاوي ج٣، ص ٥٢٢ وما بعدها بتصرف.

القـــرآن[1]

وقد استهلها الأستاذ أحمد حمزة قائلاً:

«بمناسبة نزول القرآن الكريم في شهر رمضان المعظم نرجو أن تتناول الندوة الكلام عن بعض نواحي القرآن كالإعجاز والآيات الكونية والإخبار عن الغيب والتحدي والقصص إلى غير ذلك».

وقد شارك فيها الشيخ محمد الغزالي بقوله: يقول الله تعالى في وصف كتابه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾[2] والريبة منتفية عن هذا الكتاب من ناحيتين.

من ناحية : ثبوته عن الله ـ عز وجل .

من ناحية: المعاني التي تضمنها .

فإذا نظرنا في ناحية ثبوته أو روايته عن الله عز وجل فنحن نثق في أن القرآن الذي نتلوه الآن هو هو الذي سمعه النبي ﷺ من أمين الوحي جبريل عليه السلام، الذي أنزله من رب العالمين ووعاه قلب النبي ﷺ ورواه لأصحابه ورواه الأصحاب لنا، وإذا كان هناك مجال للمقارنة فأحب أن ألفت النظر إلى أن علماء المسلمين اعتمدوا طريق الرواية الشفهية على أساس أنها الطريق الأول لثبوت القرآن بالتواتر وهذا صحيح فإن المد والغن وإبراز الحروف من مخارجها لا يكون عن طريق الكتابة لكن أخشى أن يُظلم الطريق الآخر لأن أكثر الناس قد يجهلون أن القرآن كتب أيام النبي ﷺ وأنه صلوات الله عليه انتقل إلى الرفيق الأعلى، والقرآن الكريم محفوظ في الصدور، ومكتوب في السطور وأن الطريقين معًا تظاهرا على إثباته .

---

(١) عقدت هذه الندوة في يوم الثلاثاء ١٣ من رمضان ١٣٨٣هـ ـ الموافق ٢٨ يناير ١٩٦٤ م بدار الأستاذ أحمد حمزة صاحب لواء الإسلام بالزمالك بالقاهرة .

(٢) البقرة جزء من الآية رقم (٢) .

فالكتابة إلى جانب الحفظ، ينضم إلى هذا أن القرآن عندما كان يُقرأ لم يكن يقرأ مرة واحدة بعد نزوله إنما كانت قراءته تتكرر في الصلوات وفي الخطب.

لقد ظل النبي ﷺ يخطب الجمعة عشر سنين تقريبًا ونحن لا نعرف من خطب الجمعة له إلا ما يعد على الأصابع، والسر أنه كان يخطب بالقرآن الكريم، كان هذا القرآن يتلى ويكتب ثم امتاز بشيء آخر وهو أنه أصبح المنشور الرسمي لدولة قائمة وهذا لم يتوافر للكتب التي سبقت، فإن المسيحية كانت ديانة تعتبر خارجة على القانون نحو مائتي سنة ومعنى أنها خارجة على القانون ـ هذا الأمد الطويل ـ أن الصحف التي تتناول تعاليمها أو الآيات التي نزلت من عند الله كانت مطاردة، وطبيعة هذه المطاردة تقتضي فقدان الكثير منها وعدم ثبوته، أما القرآن فقد تكونت له دولة في عهد الرسول ﷺ نفسه، فأصبحت تأخذ لنفسها ولربها ما تريد .

ومن هنا أصبح القرآن كتابًا رسميًّا لأمة قائمة من العصر الأول وبقى هذا القيام الرسمي والشعبي معًا إلى الآن، بينما نجد أن اليهودية طوردت بعد قيامها بعد قرون ودمرت وشرّد أصحابها واختفى التواتر الذي يمكن أن تصل به هذه الكتابات إلينا ونحن نثق أن القرآن الكريم الذي نتلوه الآن لا ريبة فيه قط، وأنّ ما تظاهر على حفظه من ألوف القراء والحفظة ومن آلاف الصحائف التي استوعبت أحرفه ـ تظاهرت هذه لا سنة ولا سنتين ولا قرنًا ولا قرنين ـ بل تظاهرت تظاهرًا لم يعرف لأي كتاب قط، منذ بدأت الخليقة إلى الآن .

ومن هنا يصح أن نجزم بأنه لا يوجد ما يصح أن يوصف بأنه وحي الله في هذا العصر إلا هذا القرآن الكريم فهو الذي يستحق هذه الصفة.

في هذا الكتاب مراد الله من خلقه وفيه الصيغة الأخيرة للوحي النازل على الأنبياء جميعًا ونلحظ هنا أن الله جل شأنه قسّم الزمن قسمين فوزّع الأنبياء وكتبهم على نصفه الأول أو على جزئه الأول واستبقى النبي ﷺ الخاتم وكتابه الأخير يساير العصور

ما بقي الليل والنهـار وبهذا أصبح هذا النبي ﷺ الخاتم وكتابه كأنه كفـة تعدل الزمن الماضي كله وتعدل الرسالات التي مضت جميعًا .

وليست هذه الموازنة تعدل أنه شيء آخر غير ما مضى، لا.

بل إنـه في هذا الكتـاب الخـاتم لخص الوحي كلـه، الذي أنزل علـى الأنبيـاء جميعًا وحفلت هذه الخلاصـات في صيغـة وفي أداء بلغ النسـق الأعلى في البلاغـة، وقولنا إن كتـاب الله جـل شـأنه هو الوحـي الذي نـزل من لـدن رب العـالمين علـى قلب النبي الأمينﷺ[1]، لا يعني بداهـة أن السنن المأثورة عن صاحب الرسالة ﷺ جاءت من عند نفسه .. كلا ..

وإنمـا هـي بتوقيف مـن الله جل شـأنه خصوصًـا فيمـا يتصل بالعقـائد والعبـادات والأحكـام والتقريـرات التي تتصل بهـذا الجـانب الإلهي وبهـذه الناحيـة الخاصـة بسـير الإنسانية وتوجيهها إلى الصراط المستقيم .

من الناحية المعنوية الخاصة بمنع الرية في الكتاب إذا تصورنا أن العهد القديم والعهد الجديد كتـب منزلة مـن عند الله وأن القرآن كتاب مصنـوع في الأرض وأن الذي ألفه محمد فمعنى هذا ببسـاطة أن محمدًا أقدر على صناعـة الأديان من رب الأرض والسماء لأن أي قـارئ لهذه الكتب إذا قرأهـا ثم قرأ القرآن الكريـم يجد في أداء هذا القرآن من الحـرارة في إثبـات الألوهيـة ومن صدق العاطفـة في الدفاع عـن حقيقتهـا ونفي الشبه والخرافـات عنها وفي تنـاول ما يعرض للنفس الإنسـانية مـن شـبهات، وأقصى ما يطرأ عليهـا من احتجاجات وهذا هو المعنى الذي صوره القرآن في هذه الآية ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾[2] الإنسان

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٩٢)نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ(١٩٣)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٤).

(2) سورة الكهف الآية رقم (٥٤) .

مجادل بطبعه وعنيد، ويحب أن يشغب على ما يعرف من حق وما لا يعرف من أنواع العلوم، لكن هذا القرآن الكريم تلطف مع النفس الإنسانية، تارة بالأداء العقلي الدقيق، وتارة بالأداء البياني الساحر، ولا يفوته هذا أو ذاك في أي آية من الكتاب على طوله، إذ يعرض لأخفى ما يمكن أن يختلج في النفس الإنسانية من شبهات ثم يكر عليها بالحجة؛ حتى لا يبقى للإنسان إلا أن يؤمن برب الأرض والسماء ولا ينكص على عقبيه دون هذا الإيمان إلا إذا كان عن تجاهل لا عن جهل؛ لأن القرآن ألقى شعاعًا على كل شيء، فلم يدع خافية يمكن أن تفر إليها النفس الإنسانية وتختفي في زواياها بعيدة عن هذا الهدي .

ومن هنا أقول مرة أخرى إن القرآن معجز بأمرين:

- بيانه العربي الذي هو نسق أعلى وقمة لا تبلغها قمة في الأدب والبلاغة . لكن هذا جانب من الإعجاز.

- والجانب الآخر هو المعنى نفسه سواء كان هذا المعنى مترجم إلى أي لغة أخرى وبقي على أصله العربي.

صحيح : أن ترجمة أي وثيقة بلاغية عالية من أي لغة إلى أخرى لا يمكن أن تتم بسهولة خصوصًا النقل من العربية إلى غيرها من اللغات الأخرى .

فقد تحدث العلماء أن للأسلوب العربي خصائص وأنه يتضمن معاني أصلية ومعاني إضافية فالمعاني الأصلية تحدث العلماء عنها على أنها شائعة في اللغات كلها فالمسند والمسند إليه موجودان في كل لغة بدون شكل لكن : تمتاز اللغة عندنا بأن تقديم شيء على آخر يعطي معنى من معاني القصر أو تعريف المسندين معًا يعطى معنى من معاني القصر، وإذا كان الإعجاز النفسي الذي يحمل الناس على الاقتناع بأنه يوقظ قلبه لو كان نائمًا ـ إذا كان هذا من خصائص القرآن الكريم ـ فأحب أن ألفت النظر على

عجل إلى أن القرآن تحدث نـاس كثيرون عـن إعجازه العلمي وهـذه المسـألة تحتاج إلى شيء من الاقتصاد في القول لأن الإسراف هنا بلغ حد الشطحات التي لا تعقل، أو التي قد تمـس كرامـة القرآن إذا أقمنـاه في ميادين ليسـت لـه، إن كتابنا ليـس كتابًا في علم الأحياء ولا كتابًا في علم الطبيعة والكيمياء.

حسب القرآن الكريم من إعجـاز في هذا المجال أنـه لن يتضمن باطلاً أبدًا مهما بلغ العلم من تقـدم ومهمـا بلغت المعرفـة مـن أطوار لا يمكن أن تجـيء بشـيء ينـاقض هذا القرآن هذا من الناحية السلبية .

ومن الناحيـة الإيجابية قـد يكون في ألفاظ القرآن وهي ألفـاظ تتسم بالمرونـة وتتسم بالشمول ، والمرونة شـيء غير الفوضى، والشمول شيء غير التعميم الذي يقبل الشيء وضده .

قد تكون ألفاظ القرآن من هذه الناحية متسقة وتتحمل بعض المعاني لكننا يجب أن نضبط تفسيراتنا بقواعد اللغة وقوانينها فلا تخـترق أسوار هذه اللغة التي ضبطت المعاني وإلا لفتح الأمر للتحريف .

سمعت بعض الناس يتكلم عن نظرية تمدد الكون وهي نظرية جدت أخيرًا : يقول إن الكون يتسـع ولا يزال يتسع وسرعان ما وثب إلى ذهنـه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[1] هذا كلام غـير صحيح؛ لأن النظريـة العلمية نظريـة لا نزال نجهل إن كانت صحيحة أو لا ؟

ثم إن نفـس كلمـة ﴿مُوسِعُونَ﴾ هنـا لا تتضمن معنـى التوسـيع في الكون الذي تتضمنه النظرية.

---

(١) سورة الذاريات الآية رقم (٤٧) .

إنما موسعون تعنى ضد الإعسار وأن الله مطيق لأنه كبير غني فلا معنى لحمل القرآن على مثل هذا وغيره من أشياء كثيرة .

أرى أن نجعل القرآن الكريم بمنجاة عن تفسيرات لا تزال في طور النظريات وعلينا أن نحاكم أفهامنا هذه إلى قواعد اللغة ويجب أن نحاكمها إلى قواعد اللغة لأن القرآن كتاب عربي ولأن هذا الكتاب العربي لا يفهم إلا وفق قواعد اللغة التي نزل بها . ونحن نجد أن اللغة لا تسعفنا في كثير من هذه النظريات .

* * *

السنة مصدر من مصادر التشريع الإسلامي[1]

وقد استهلها الأستاذ أحمد حمزة قائلاً:

«يزعم بعض الناس أن السنة التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست بوحي من عند الله وليست بمصدر من مصادر التشريع الإسلامي» فنرجو أن تتناول الندوة هذا الموضوع بالتفصيل.

وقد شارك فيها الشيخ محمد الغزالي فقال:

رسل الله جميعًا عليهم الصلاة والسلام هم القادة الأصلاء للفكر الإسلامي، وهم القمم الشماء بين الحياة والأحياء، ومستواهم أرفع بيقين من مستوى الفلاسفة والعباقرة والزعماء والمصلحين الذين ظهروا في تاريخ الدنيا؛ ولذلك لا يتصور أن يكونوا أبواقًا فقط ينفخ وراءها ملك الوحي بما عنده ، وليس عليهم إلا أن يكونوا نقلة أو شرائط مسجلة ينطبع عليها الوحي السماوي ثم يرددون وتلك وظيفتهم وحدها وليست لهم وظيفة بعد أن يلقوا بين الناس كلام الله إلا أن يلقوا هذا الكلام وكفى، هذا التصور لوظيفة النبوة ينزل الأنبياء عن المستوى العادي للبشر ويجعل الواحد منهم ميكروفونًا ليس غير، نفخ ملك الوحي من وراءه بما عنده وهو ردد الكلام الذي جاء به وانتهت بذلك مهمته ووقفت عند ذلك وظيفته.

الواقع.. أن أي دستور نظري يفقد قيمته يوم يكون كلامًا مكتوبًا في الصحائف أو متلوًا على الناس في المجالس ولا يسانده تطبيق من مسؤول يبين اتجاهات هذا الوحي بمسلك عملي دقيق ومن هنا .. فنحن نرفض رفضًا باتًا أن تكون وظيفة النبوة هي النقل وأن تكون بيع الكتب أو هبة كتب للناس ولو أن الأمر كذلك لكان بحسب

---

(١) عقدت هذه الندوة في مساء الثلاثاء ١٢ من شوال عام ١٣٨٤هـ ــ الموافق ٢٥ فبراير ١٩٦٤م بدار مجلة لواء الإسلام .

السـماء أن تجعل الملائكـة تبعثر الكتب في القارات الخمس ولا ضـرورة لهؤلاء الأنبياء لأنه لا معنى لأن يكونوا نقلة كتب قط ولا معنى لأن تكون هذه وظيفتهم.

الواقع .. أن الأنبيـاء أكـبر مكانــة وأعظم منزلــة من هـذا، ونحن نشــهد في بعض الفلسـفات الإنسانية الصغـيرة كالشيوعية مثلاً إن الكتابات النظريـة التي كتبها طاغيتها الأول كـارل مـاركس عند تطبيقهـا يحتـج بهـا ويحتج مطبقوهـا بأفعـال لينين ويقولون الماركسية اللينينيـة أو التطبيقات التي فعلهـا فلان أو نادى بهـا فلان ويحتجون بالتطبيق مع الدستور النظري.

ما من دسـتور نظري في الحياة يمكن أن يكون أساس خير أو محور نهضة عامة ما لم يكن معـه شـخص تكـون حياته وسـيرته ومسـلكه وظـاهره وباطنـه وأخلاقـه الخاصة ومعاملاته للناس هي التفسير العملي والتطبيق الحقيقي لهذا الكلام النظري.

ومن هنـا فنحن نؤكد إن الإسلام يقوم علـى دعامتين ويطير بجناحين القرآن الكريم إحدى الدعامتين والسـنة المطهرة الدعامـة الأخرى ، بل إن القرآن الكريم لا يفهـم ولا يمكن العمل به إلا إذا عرفنـا ما هي الأركان العمليـة الأولى التي شرعهـا ا لله لنا، وأمرنا بالقيـام بها وذلـك عن طريق السـنة، وأدع الكلام في هذا الموضـوع لشـروح إخواني الآخرين.

لكني أريد أن أعرض إلى جانب آخر:

السنة طبعًا فيها مـا هو تشريع وفيها ما هو أمر جبلي لا صلة للناس به[١]، وفيها ما

---

(١) الأفعال الجبلية وهي ما صدر عنه بحكم طبيعته كإنسـان كالمشي والأكل والشرب.. الخ ، وهذه الأفعال تدل على الإباحة بالنسبة له ولأمته .

أ) أفعال خاصه به ﷺ كالزواج بأكثر من أربع ومواصلة الصوم واكتفائه في إثبات الدعوى بشهادة خزيمة وحده فكل هذا من خصائصه ولا تعتبر تشريعًا عامًا .

ب) سنة تشريعية كتخصيص العام وتقييد المطلق وبيان المجمل كبيانه الصلاة وكيفيتها والحج ومناسكه والتيمم وغير ذلك .

وحكم هذه الأفعال حكم النص الذي وقعت بيانًا له فإن كان واجبًا كانت واجبة، وإن كان مندوبًا كانت مندوبة، وإن كان مباحًا لأن المبين يأخذ حكم المجمل .

هو أمر عادي لا يكلف الناس بأن يتبعوه .

إنما هي من خصائص الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن خصائص البشر جميعًا والذي أريد أن أتحدث عنه هو ثبوت هذه السنة .

فإن بعض الناس يظن السنة أخبارًا يمكن تلقيها بالقبول أو تلقيها بالرفض لأنها أخبار، والواقع إذا رفضنا السنة النبوية أو تشككنا في الطريقة التي قد جاءت بها فيجب بهذا المنطق نفسه أن نشك في كل تاريخ يروى وأن نرفض رفضًا باتًا كل ما يذاع من أخبار وكل ما ينقل في الصحف، أو في الكتب أو تطيره البرقيات أو ما يتبادله الناس من معان؛ لأنه إذا سرى الشك في السنة النبوية والطرق التي رويت بها فلن يبقى على الأرض يقين ولا معنى بتاتًا لاحترام مصادر الأخبار الأخرى.

ورفض السنة النبوية لأنها جاءت من مصادر إذا وضعت بين أيدي الملحدين أنفسهم وقيل لهم تعالوا نناقش هذا المصدر الذي جاء بالسنة بالعقل الإنساني المجرد ودون تحيز لأي شيء ؟.

فإن السنة تخرج بنصيب الأسد فالروايات التي يثبت بها التاريخ البشري والتاريخ الفلسفي والتاريخ الاجتماعي والسياسي بين ثقافة الإنسانية كلها وما وصل إلى الإنسانية الحاضرة من مواريث الماضي كله نضرب هذا المثل ليعرف الناس معنى وصول السنة إلينا .

= ج) أفعال ليست طبيعية ولا خاصة به ﷺ ولا هي بيان لنص مجمل وهذه الأفعال تتنوع إلى نوعين :

أ) نوع يظهر فيه قصد القربة وللعلماء في حكمه :

- أنه يفيد الندب . / - يفيد الوجوب . / - التوقف.

ب) نوع لم يظهر فيه قصد القربة وللعلماء في حكمه :

- يدل على الإباحة / - يدل على الندب . / - يدل على الوجوب . / - التوقف .

ويرجع للأدلة كل قول مع الترجيح في الأحكام للآمدي ١ / ٥٩ ، وما بعدها والمختصر لابن الحاجب ٢ / ٢٢، وأصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٤٣ ، ٤٤ وأصول الفقه لأبي النور زهير ٣ / ١١٠ .

السنة قسمان سنة متواترة وسنة تسمى آحادية :

أمـا السـنة المتواترة: فهي تشبه السـنن الفعليـة العملية التـى وردت لنا كالصلوات والصيـام وغـير ذلك فـإن ركعات الصبـح والظهر وغيرهـا من الأعمـال الثابتـة جاءت بطريق التواتر الـذي جاء القرآن بـه ، وليس في الدنيـا طريق أوثق من هذا التواتر الذي انفـرد به الإسلام وأظن أن أحد الناس لايشك في التواتر وإذا شك في التواتر فمن حقنا أن نقول إن بـاريس لا توجد ولندن لا توجد فنحـن لم نر لندن ولا باريس والملايين لم تر البلدين لكن عـن طريق الذين رأوا بأعينهم وهـم كثـير لا يعقل الإنسان أن يتواطؤوا على الكذب وروى عنهم غيرهـم .

أصبحنـا نحـن نرى أن البلدين موجـودان فكذلك تواتـر هذه الأخبـار وهذه الأنبـاء وهذه السنن عن الجماهير الحاشدة التي لا يتصور العقل أن تجتمع على كذب هو الذي أثبت هذا القرآن الكريم وأثبت السنة العملية وبعض السنن القولية.

سنن الآحاد: التي نريد أن نتحدث عنها .. ولنفرض أننا نتحدث مع إنسان لا صلة له بالدين ولا يعرف شيئًا عن هذه النواحي فلنقل له لنفرض أن رئيس بلد من البلاد أو حاكم أو رئيس وزارة قيل إنه نسب إليه قول من الأقوال أو فعل من الأفعال ما الذي يجعلنا نصدق هذا القول.

ننظر.. يوم يقال إن رئيس الدولـة أو ملك أحد البلاد روى عنـه وزير أو رجل من رجـال القصر أو شـخص متصل به ، سمع منـه هو ودلت القرائن على أنـه فعلاً صاحبه الذي سمع منه ثم هذا الذي سمع منه نقل عنه آخر سمع منه دون وساطة .

فإن سلسـلة السـامعين إذن لم يكن فيهـا انقطاع ثـم انضم إلى هذا طمأنينتنا إلى أن كل واحد من هذه السلسـلة ليس مغفلاً فيما يسـمع بل هو دقيق الضبط يعي ما يقول ويعي مـا يلقى إليـه ثـم هو ليس خدّاعًا ولا مزوّرًا عنـده من الخلق والضمـير ما يجعلـه يضبط ما يقول فلا تجريح لأمانته .

إذن يجتمع عندنا في هذا الخبر أن سلسلة النقلة غير منقطعة في موضع من مواضعها وأن كل حلقة من هذه السلسلة تمثل رجلاً واعيًا في دقة عقله أمينًا في صحة ضميره واستقامة خلقه.

فمعنى هذا أن الكلام الذي جاءنا بالضبط مسند حقيقة إلى من صدر عنه أولاً، ما فعله علماء المسلمين فهم لم يقبلوا أيّ كلام نسب إلى رسول الله ﷺ هكذا بل اشترطوا خمسة شروط، ثلاثة شروط في سند الحديث أو في سلسلة الرواة الذين جاءوا بالكلمة أو بالفعل أو بالحكم أو بالتقرير الذي نسب إلى هذا الرسول(١) ثم اشترطوا بعد ذلك شرطين في الكلام نفسه في المتن الذي نسب إلى هذا الرسول، هذان الشرطان هما أن يقارن هذا الكلام المنسوب إلى الرسول بما نقل عنه بالطرائق الأخرى، كلها المتواترة وغير المتواترة، فإذا كان مخالفًا لما هو أوثق منه ردّوه(٢)وإذا استكشف الحفاظ الثقات أن هناك عللاً قادحة في هذا الكلام ردّوه(٣)، فهل في تاريخ الأولين والآخرين كلام يمكن أن يغربل بمنطق علمي دقيق نظيف أو بمقياس يطمئن العقل إلى سلامته وحصافته غير هذا؟

الحقيقة أن علماء السنة في الإسلام وضعوا ضوابط لتلقي سنة النبي ﷺ لا يمكن

---

(١) لو علمنا تعريف الحديث الصحيح وهو اتصال السند بنقل العدل الضابط مثله من أول السند إلى آخر بدون شذوذ ولا على فادحة لاتضح لنا الشروط الخمسة فهي ثلاثة في السند:

أ) اتصال السند . ب) عدالة الرواة . ج) ضبط الرواة .

واثنان في المتن وهما :

أ) الخلو من الشذوذ ب) السلامة من العلة الفادحة .

(٢) وهو الشاذ: عرفه الشافعي بأنه: أن يروى الثقة حديثًا يخالف به الناس، راجع معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١٤٨ .

(٣) هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته مع أن ظاهره السلامة منها، وقد تكون العلة قادحة في السند وقد تكون في المتن ومثاله حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليغسل كفيه ثلاث مرات قبل ان يجعلها في الإناء فإنه لا يدرى أين باتت يده، ثم ليغترف بيمينه من إناءه ثم ليصب على شماله فليغسل مقعدته.

قال أبو حاتم الرازي: ينبغي أن يكون «ثم ليغترف بيمينه ....» إلى آخر الحديث من كلام إبراهيم بن طهمار فإنه كان يصل كلامه بالحديث فلا يميزه المستمع. انظر علل الحديث لابن أبي حاتم ١/ ٦٥ .

للملحد ولا لغير الملحد أن يجد فيها ثغرة.

وإذا كانت ضوابط الكلام بعد هذه الدقة وبعد هذا التحري لا تجيء بخير فيجب أن يمحى تاريخ البشرية؛ لأنه جاء بطرق دون هذه الطريق الإسلامية استيثاقًا وحرصًا وتحريًّا، ومع هذا قبل الناس تاريخهم عن طرق وعن مصادر أقل ثقة وأقل حرمة علمية من الطرق ومن الأسانيد التي رويت بها السنة.

والأعجب من هذا أن علماء المسلمين الذين أحاطوا سنن الآحاد بهذا الإطار المحكم وهذا السياج الغريب الذي يزود عن الحديث أيّ دخيل وأيّ تحريف، مع هذا كله فقد اعتبروا سنن الآحاد هذه إنما تفيد الظن العلمي، والظن العلمي شيء غير اليقين العلمي وكلام علماء المسلمين وكلام فقهاء الأصول في الثقافة الإسلامية يصل بتفكيرهم من هذه الناحية إلى مستوى من الرقي ومستوى من الأصالة الفكرية لا يعرف مرة أخرى في تاريخ الثقافة الإنسانية الحاضرة أو الغابرة .

فإن أحدًا لم يزن الكلام ويزن ضوابطه ويزن قيمته بعد هذه الضوابط فيفرق بين اليقين المقطوع به وبين الظني الذي يمكن أن يؤخذ به، ويمكن أن يتأمل فيه أو يتجاوز عنه إلى ما هو أوثق وإلى ما هو أولى .

ليس هناك في تاريخ الثقافة الإنسانية من نظر إلى الكلام هذه النظرة التي تتضمن الحمية الدينية في حصر كلام الرسول ﷺ الذي له قداسته، وأيضًا الاعتدال العقلي المحايد في وزن هذا الكلام وفي إنزال المنقولات والمأثورات المروية منازلها التي ينبغي أن تضبط وأن تعرف في نطاقها.

ومن هنا تحدث علماء الإسلام عن الحديث الصحيح والعزيز والغريب والضعيف ثم تحدثوا في السلاسل التي تضمنت الرجال الذين جاؤا بهذه الأحاديث فغربلت هذه السير سير الرجال، ووضع علم الجرح والتعديل، وكما تكشف عن كلمة في قواميس اللغة لتعرف مكانتها من اللغة وأصلها واشتقاقها فإنك تستطيع أن ترجع إلى كتب

الرجال لتعرف قيمة كل راوٍ هل هو عدل أو مجرّح؟ هل هو مستور الحال؟ هل هو مأمون في نقله؟ هل ظل مأمونًا في نقله طول عمره؟ أو بعد ما كبر تغيرت حاله؟ هل كان يروي من محفوظاته؟

وهذا نوع من العلم عصم الله به هذه الأمة فجعل أمانة الوحي عندها مصونة، لا يتطرق إليها عبث، إن الإسناد من خصائص الأمة الإسلامية ولذلك نحن نستطيع أن نقول بجرأة وبيقين إن كتابًا في الأرض الآن لا يمكن أن يقال: إنه من عند الله حرفًا حرفًا مثل هذا القرآن، وإن تاريخ بشر من الناس لا يمكن أن يقال إنه ثابت في جملته وتفصيله مثل تاريخ النبي ﷺ ومثل هذه السنة التى جعلت حياته على المسرح، هذا الرسول ﷺ لم يكن يعيش وراء جدر أو وراء الكواليس كما يعيش كثير من الزعماء الذين إذا اقتربوا من الجماهير افتضحوا وانكشفت عوراتهم.

هذا رجل كان يعيش بين الناس فيعرف أحواله كل إنسان في بيته من ساعة الصباح إلى أن ينام، بل في منامه وما يطرأ عليه، كانت على المسرح حياته يراها كل إنسان، فأحصيت حركاته وسكناته وكلماته وأفعاله وتقريراته، والأمة الإسلامية حرصت أشد الحرص على أن تتأمل في هذه الحياة وأن تتدبر نواحيها ثم قسّمتها تقسيمًا أيضًا كان علماء المسلمين فيه كأدق علماء النقد في حاضرنا الآن.

ما كان جبليًّا له .. تركوه له، فما استنوا بأنه أكل كذا أو كان يحب أكل كذا، لأن هذه أمور جبلية ليست سنة لها صفة التشريع ولكن ما له صفة التشريع أصبح دينًا لا يخرج عنه إلا مارق.

فإذا قال الله جل شأنه: **﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾**[1] فالكلمة في الآية فإذا جاء الرسول ﷺ وبيّن أن **(القاتل لا يرث)**[2]

---

(١) سورة النساء جزء من الآية رقم (١١) .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: الترمذي في الجامع (٤/ ٣٧٠ - رقم ٢١٠٩) كتاب الفرائض ، باب: ما جاء في إبطال ميراث القاتل، والدارقطني في السنن (٤/ ٩٦ - رقم ٨٥)، كتاب الفرائض والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٦٢ - رقم ١٢٤٩٢) - كتاب : الفرائض: باب: لا يرث القاتل، والدارمي في السنن (٢ / ٤٧٩ - رقم ٣٠٨٣) ، ك:=

وخصص هذا العموم كانت السنة الصحيحة دينًا.

ومضى الإسلام والمسلمون على هـذا الحكم لا يستطيع أحد أن يفلت منه وإذا قال الله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[1] فإن القرآن لم يبين ما هي الصلوات لا كمًا ولا كيفًا ولا شرح هذا.

فإذا قال الرسول ﷺ «صلوا كما رأيتموني أصلي»[2] فتلك سنة لها صفة التشريع.

* * *

-الفرائض ، بـاب: ميراث القاتل موقوفًا عن علّي، وانظر التلخيص الحبير لابن حجر (٣ / ١٠٧٢) ، نصب الراية للزيلعي (٤/ ٤٢٨) .

(١) سورة البقرة جزء من الآية رقم (٢٣٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ك: الآذان، باب : الآذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة ، (٢ / ١١ (رقم ٦٣١) عن مالك بن حويرث رضى الله عنه .

الاحتفال بالمولد النبوي[1]

وقد بدأها الأستاذ أحمد حمزة قائلاً:

«الاحتفال بالمولد النبوي الشريف هل عرف في الصدر الأول للإسلام أو لم يعرف إلا بعد ذلك؟»

نرجو أن تتناول الندوة هذا الموضوع من جميع نواحيه..

وقد شارك فيها الشيخ محمد الغزالي بقوله:

من الحقائق المقررة أن محبة النبي ﷺ ركن في الإيمان وعلى هذا اتفق علماء المسلمين، فليس هناك خلاف بين مسلم وآخر بأن توقير النبي ﷺ وإكنان أشرف العواطف له وذكره بما ينبغي له من إعظام من أمارات التقوى ومن علامات اكتمال الدين .

والواقع أن النبي ﷺ أهل لذلك كله، فهو يشبه هذا الكون الكبير الذي نعيش فيه، هذا الكون الذي لا تعرف خزائن أسراره، ولا مفاتح قواه إلا مع تقدم العلم واتساع آفاقه، كذلك شخصية محمد ﷺ فإن الناس لا يحيطون بطرف من عظمتها، ولا يقبسون شعاعًا من نورها، إلا إذا ارتفع مستواهم، وارتقت أبصارهم وبصائرهم ، والنبي ﷺ في هذا الكون يشبه في الحضارة التي شملت العالم المخترعات والقوى التي اكتشفت أخيرًا .

فإذا كانت الكهرباء مثلاً قد طورت الحياة المادية للناس ونقلتها من حال إلى حال، وكذلك البخار وجميع القوى المادية الأخرى.

فإن النبي ﷺ في عالم المعاني والكمال والأخلاق والمعنويات التي تشرُف بها

---

(١) انعقدت في مساء الثلاثاء ١٣ من صفر ١٣٨٤هـ الموافق ٢٣ يونيو ١٩٦٤ بدار المجلة .

الإنســانية وتزداد قـوة في تطوير الحرارة، أعظـم من قوى الكهربـاء والبخـار في تطوير الحضارات المادية .

ومن هنـا .. يجب على العـالم أن يعرف ما ينبغـي له ﷺ مـن تكريم، وما جبل ا لله عليه نفسه (يعنى النبي) الشـــريفة من عظمة، وسمو هذه المعاني يتفق المسلمون عليها - فيما أعتقد - لكنّ إظهـار محبة النبي ﷺ ينبغي أن يكون في حـدود الرسالة التي تركها والأوامر التي أوضحها لنا.

فكل عمل في الحقيقة له ناحية باطنة وناحية ظاهرة:

الناحية الباطنة : صدق النيـة، ولكن صدق النية يجب أن يكـون معه حسن القدوة، فحسن النية وحـده لا يكفي إذا كان العمل مخالفًا لما روي عن النبي ﷺ من معالم لابد لسلامة العمل أن يجمع بين الأمرين معًا استقامته الظاهرة مع صور العبادات المشروعة، وإلى جانب هذه النية الصالحة التي تجعل العمل يرتفع إلى الله ويستحق المثوبة[1] .

بهـذا .. فنحن لا نسـتطيع أن نقول إن إحيـاء المولد النبوي فريضـة من الفرائض أو سنة من السنن أو يتناوله الحكم بأنـه شريعة من شرائع ا لله يلام المسلمون إذا تركوها، بل الذي نستطيع أن نؤكده بأنه ليس هناك نص في كتاب ا لله ولا في سنة رسوله ﷺ يجعل إحياء ليلة المولد فريضة أو نافلة .

نضم إلى هذا أن المبتدعـات التي ألـف الناس أن يُنفســوا بهـا عن عواطفهم اختلف المســلمون في تعريفهـا، وفي قبولها ورفضهـا، والذين تكلموا في المولـد نظروا إليـه من جوانب، ونحن معهم نتناول هذه الجوانب.

أستطيع أن أؤكد أولاً من اكتمل إيمانـه وحسن للإسلام عمله، وصدق لله جهاده، لا يمكن أن يلام إذا لم يذكر ليلة المولد، ولم يعرفها في تاريخه كليلة يحتفل بها ، ويجتمع

---

(١) الأدلة على ذلـك كثيرة وفيرة راجع حقيقة البدعـة وأحكامها د/ سعيد بن ناصر الغامدي ج١، ص ٣٤، وما بعدها ، ط/ الرشد ١٤١٤هـ .

الناس عليها .

وما دام وفيًّا للكتاب والسنة وناصحًا لله تعالى ورسوله ﷺ وجماعة المسلمين فلا يعاتب إذا ترك الاحتفال بهذه الليلة .

ـ البدع التي تحدث الناس فيها تحتاج إلى شيء من الإيجاز السريع، والذي أذكره أن صاحب الاعتصام اعتبر البدع كلها سيئة؛ لأن تعريفه للبدعة لا يقتضي غير هذا، فهو يقول في تعريف البدعة[1]: أنها طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بها المبالغة في التقرب إلى ا لله تعالى.

وعلى هذا الطريق الذي ارتضاه الشاطبي لا يكون هناك بدعة حسنة على الإطلاق.

إنما البدعة بالمعنى الأعم الأشمل وهو المعنى اللغوي تقريبًا هو كل ما حدث بعد النبي ﷺ، هذا المعنى اللغوي هو الذي يمكن أن تقسم البدع على ضوئه فيقال: هذه بدعة حسنة وهذه بدعة سيئة.

ويحكم على البدعة بأنها سيئة إذا ضادت سنة أو ابتعدت عن معالم الشريعة.

وأريد هنا أن أقول: إنني أود الاقتصاد في الأحفال التي ألف المسلمون صنعها، لكن: هل معنى ذلك أن نلغي أحفال المولد وأن تبتعد عن هذه الذكريات؟

لا، فسياسة الجماهير في عصرنا يجب أن يُنظر إليها على ضوء ما يقع في البلاد الأخرى، وما تسلكه الفلسفات والمذاهب الاجتماعية والسياسية التي تزاحم الإسلام في الحياة، والتي تريد أن تأخذ منه الزمام، وتحل محله في سياسة الأمم، ونحن نجد أن الجماهير تهاج بأساليب مفتعلة في كثير من المذاهب الاجتماعية المعاصرة، وأن هذه

---

(١) عرف الشاطبي البدعة بتعريفين أحدهما (... فالبدعة ... عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه) الاعتصام ١/ ٣٧، وهذا التعريف على رأي من يرى عدم دخول الابتداع في العادات والمعاملات ويخصه بالعبادات.

والثاني أنها (... طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية) الاعتصام ١/ ٣٧ وهذا على رأي من يدخل الابتداع في الأمور العادية، وقد رجح الشاطبي التعريف الثاني.

الإهاجة مقصودة لربط الناس بالمبادئ التي ينبعثون عنها، والمعاني التي يراد أن تظل نابضة في نفوسهم، دافقة في قلوبهم فاصطنعوا يومًا للعمال، وآخر للجيوش، وويومًا لكذا وكذا.. من معان شتى يراد إحياء ما نام من مشاعر الناس وأفكارهم باختلاق هذه المناسبات وسوق الناس إليها سوقًا عنيفًا أو لطيفًا.

حتى يمكن الانتفاع بقوى الجماهير في خدمة المبادئ أو المذاهب التي ينتمون إليها، وفي مثل هذه الظروف التي يواجهها الإسلام والمسلمون ينبغي أيضًا أن ننظر إلى سياسة الجماهير نظرة جديدة، فلا نتزمت عندما نقول يجب أن نتبع ولا نبتدع.

وفي الوقت نفسه لا نتهاون ونترك الحبل على الغارب لكل من يريد أن يسير في الدين بالاختلاق والابتداع، وإدخال ما يريد إدخاله، في هذا التراث الذي صانه الله، وحمى عنه البدع والخرافات ولهذا أنتهي إلى أمرين:

الأمر الأول : التأكيد بأنه ليس من شرائع الإسلام ولا من ذكرياته التي جاءت في الكتاب والسنة وسير الأسلاف الصالحين إحياء ليلة المولد أو الليالي الأخرى التي يحتفل الناس بها.

أما الشيء الثاني : فهو أنه من الممكن الاحتفال بالليالي على أنها عادات لا عبادات، وأن هذه العادات ينبغي أن تستغل استغلالاً واسع النطاق بتعبئة الجماهير، واستغلال حبها لله ورسوله في خدمة الأهداف المقررة للإسلام، وتسييرها على الطريق الصحيحة التي تركها لنا هذا النبي الكريم.

* * *

الآداب العامة وحدودها[1]

استهلها الأستاذ أحمد حمزة قائلاً:

«لاحظ بعض المستشارين المتدينين أن كاتبًا من الكتاب تؤدي كتابته إلى انحلال خلقي واجتماعي وديني بين الشباب، فرفع دعوى على ذلك الكاتب ومجلته[2] محافظة على الآداب العامة ورعاية للشباب، فهل لسماع مثل هذه الدعوى أصل في الإسلام؟»

وهل تتفق الكتابة في هذه المجلة وأشباهها من المبادئ الإسلامية؟

وما الحدود التي وضعها الإسلام للآداب العامة والأخلاق ورعاية المجتمع؟

وما السبيل لتطبيق الأحكام الإسلامية في هذا الزمان؟

نرجو أن تتناول الندوة هذا الموضوع بالتفصيل.

وقد شارك فيها الشيخ محمد الغزالي بقوله:

من فترة طويلة لاحظ أولوا الغيرة على الدين والخلق في بلادنا أن حصوننا مهددة من داخلها، وأن كياننا تنتشر منه جراثيم تثير الفوضى وتهدد بأوخم العواقب.

لاحظوا أن هناك أقلامًا كثيرة توزعت على الصحف والمجلات وبدأت تنفث سمومها في هذا المجتمع، وتوجّه هجومًا مزدوج الخطر إلى أمتنا وإلى ديننا.

يتجه إلى ديننا كي يمحق معالمه ويبيح محارمه، ويجرئ الصغار والكبار عليه، وهو يتجه إلى أمتنا كي يعلقها بالتوافه، ويربيها على الصغائر ويجعلها تحيا للدنايا، ولا تحسن العمل بمعالي الأمور، وإذا كان القرآن الكريم قد توعد بعض المجتمعات ـ التى تنسى الفرائض ، والتى تستمرئ الرذائل ـ توعدها بسوء العقبى، فقال جل شأنه: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾[3] .

---

(١) عقدت في مساء الثلاثاء ١٩ ربيع الأول ١٣٨٤هـ الموافق ٢٨ يوليو ١٩٦٤م.

(٢) هو إحسان عبد القدوس في مجلة روزاليوسف.

(٣) سورة مريم الآية رقم (٥٩) .

فإن هؤلاء الكتاب كانوا يعملون عملاً مزدوجًا إذ يميتون الجد في نفوس الشباب ويصرفونهم صرفًا عنيفًا عن الحق والخير والفضيلة، وهم في الوقت نفسه الذين يباعدون فيه بين الشباب وبين كل ما يقرّب إلى الله، يفرشون الطريق ، طريق الإثم والفجور لهؤلاء كي ينحدروا .. وينحدروا باستمرار.

وبداهة .. لن يستفيد من هذه الحال إلا الاستعمار الصليبي والشيوعي، وإلا الأعداء المتألبون الذين يريدون أن يرونا أمة منخورة الباطن، ليس هناك ما يلمّ شملها من عقائد، وليس هناك ما يجمع صفوفها من أهداف فنحن نعتقد أن هذه الكتابات لا تخدم البلد قط، بل تخدم أعداء البلد، وأن الغرض منها واضح وهو هدم هذا الدين والأمة المنتسبة إليه، أو هدم هذه الأمة والدين الذي يرفرف عليها وتشرف به، وبداهة فإن مسلك هذه العصابة من الكتاب لا يحتاج إلى ذكاء كي يعرف ما يصنعه الإسلام معها .

فإن الإسلام يقوم على أن ميزة هذه الأمة التى تشرّف بها في التاريخ وتفضل به الأمم الأخرى أنها أمة تحسّن الحسن وتقبح القبيح وتقيم حدود الله ، ولا ترتكس فيها الموازين ليتحول الخير إلى شر أو الشر إلى خير، وتتحول الفضيلة إلى رذيلة ، والرذيلة إلى فضيلة .

- لا .. إن هذه الأمة تعرف الإلحاد على أنه إلحاد وكفر بالله ، وتعرف الدعارة على انها دعارة، فهي لا تسمي الإلحاد حرية في الدين، ولا تسمي الصلة الجنسية الحرام حبًا أو مخادنة أو غير هذا.

بل تعرف الرذيلة وتكشف ما فيها من سوء، وتنفر الناس من الوقوع في هذه الرذيلة، وتقيم أعلام الإيمان واضحة على أن الخير يجب أن تبين معالمه، ويتجمع الناس حوله، وأن الشر يجب أن تظهر سوأته[1] ، وأن ينفر الناسُ منه.

وميزة هذه الأمة ذكرت لا بعنصرية ولا جنسية، وإنما ذكرت بأنها كما قال الله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2] .

(١) في الأصل (قائمة).

(٢) سورة آل عمران الآية رقم (١١٠) .

ومن هنـا : كانت مسؤولية كل مسلم مسؤولية شخصية، إذ إنـه مأمور بأن يفعل الخير وأن يوصي بـه، وأن يـترك الشـر وأن يزجر فاعليـه، فكل مسـلم في عنقـه هذه المسؤولية عن نفسه وعن المجتمع.

ولذلك .. لا يجـوز لـه أن يلقى بالهوادة والتسـليم أيّ متجرئ على حدود الله ، أو من أن يغري الآخرين بالوقوع في معاصيه، بل يجب أن يمنعه بكل ما في يديه من طاقة.

فإن كان صاحب سلطة تنفيذيـة منعه قسرًا، وإن كان صاحب لسان وقلم استطاع بلسانه وقلمه أن يـردّ هذه الشرور، وأن يخنقهـا في مهدها، وأن يتابعها حيثما انطلقت كي يقضـي عليها، وإلا فهو منكر بقلبه، كـاره لهؤلاء وللكراهية آثار تظهر في المقاطعة السـلبية، وفي النفور من هـذه المجتمعات وتنفير الآخرين منها قـدر المسـتطاع كما قال الله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

أي أن كل مسلم لا يجوز له قط أن يسكت إذا وجد جرأة على دين الله ،

ـ قد يقال: إن الحرية الشخصية كفلها الدستور، وأقرتها المجتمعات.

ـ ونحن نقول: إن الحرية التى كفلها الدستور وأقرتها المجتمعات هي حرية العقل لا حرية الشهوة، وهي حرية الفكر لا حرية الرجز.

وإن المجتمعات كلها اتفقت على أنه إذا وجـدت هناك حُـمّى خطيرة أو مرض معد وخيف من العـدوى أن تتحول إلى وباء يهدد الأمـة حبس المريض في مستشـفى خاص حتى يشفى من دائه، وحتى تكفي الأمة شره، وهؤلاء الكتاب المنحلون جنسيًّا والذين يريدون نشر الدعارة في الأمة، هؤلاء قد تكون نفوسهم منحلة أو قد تكون أجسادهم مستباحة، أو نشأوا في بيئات عاشت على الرذيلة، و لم تر فيها بأسًا .

لكن .. أمـة لهـا دينهـا الـذي تحرص عليـه ولهـا أبناؤهـا الذيـن تدافع عنهم، ولهـا حاضرهـا الذي تريد أن تحميه حتى تحولـه إلى مسـتقبل طيب، من حق هـذه الأمة أن توقـف هؤلاء الكتـاب وأن تعتـبرهم وبـاءً خطيرًا يهدد كيانهـا تهديدًا معنويًـا، ويجعل

(١) سورة الأنعام الآية رقم رقم (٦٨) .

مقاومتها لأعدائها المتربصين منهارة أو ضعيفة.

وأنا لا أشك أن هذه الكتابات تخدم إسرائيل والصهيونية ، وتخدم كل متربص الشر ببلاد الإسلام، فهؤلاء الكتاب طابور خامس بيقين، يخدم أعداء الإسلام وأعداء هذه الأمة.

- حق الإسلام بداهة أن كل مسلم مكلف بمقاومة هذا التفكير المضلل، وأن يضع العوائق أمامه .

- الإسلام بيقين يجعل الأمة تقف ضد هذه الكتابات، ويجعل الحاكم مكلفًا قبل غيره بمنعها، فإذا غفل لأمر ما .. وجب على الآخرين أن يذكّروه بواجبه حتى لا يتقاعس عنه وحتى يؤديه بقوة .

بداهة.. هذه المجلات التى استمرأت أن تظل أعدادها متملقة غرائز المراهقين والمراهقات إنما تبيع السموم للأمم، وأنا أستغرب كيف يُحرّم الحشيش والأفيون والمخدرات جميعًا في الوقت الذي تنطلق فيه هذه المجلات تعرض على أمتنا سمومًا أفتك بكيانها من هذه المخدرات؛ لأنك إذا بحثت عن أسباب كثير من الجرائم وأسباب تخلف كثير من الموظفين والتجار عن أداء واجبهم وأسباب سقوط كثير من الطلاب في مدارسهم ، فستوضع يد الباحثين على هؤلاء الكتاب الذين حولوا جهود الشباب من الجد وبناء الأمة إلى الهزل وتدميرها.

والمعركة الآن بين الأمة وبين هؤلاء الكتاب :

هل هذا الدين له حدود؟

هل هناك حلال يباح وحرام يحمى الناس من الوقوع فيه؟

أي أن المعركة ليست على أمور مشتبهات ولا على حقائق فيها غموض وإنما المعركة في الواقع على الدين نفسه، والألوهية ذاتها، بل ورسالات السماء جميعًا[١] .

* * *

---

(١) لمعرفة شدة المعركة وميادينها وأسماء ووسائل جند الباطل وواجب المسلمين نحوها راجع رسالة الدكتور الفاضل / سعيد بن نار الغامدى «الانحراف العقدى في أدب الحداثة وفكرها » فقد رصد في قرابة ٢٣١٧ صفحة ما لا يسع المسلم المعاصر جهله فجزاه الله خيرًا .

تفسير القرآن الكريم[1]

وقد استهلها الأستاذ أحمد حمزة قائلاً:

«هل يجوز تفسير القرآن بغير المأثور عن الرسول عليه الصلاة والسلام والمأثور عن صحابته رضوان الله عليهم، أو لابد في التفسير من الاعتماد على المأثور وعدم الخروج على ما هو مروي عن الرسول ﷺ وأصحابه».

نرجوا أن تتناول الندوة هذا الموضوع بالتفصيل:

وقد شارك فيها الشيخ محمد الغزالي فقال:

أظن لغة التخاطب على عهد الصحابة رضوان الله عليهم كانت قريبة من النسق البلاغي العالي، ومن ثم فهم كانوا إلى فهم القرآن أقرب، وإلى إدراك مراميه البعيدة أدنى، لهذا ما كانوا يحتاجون إلى التفسير الذي يحتاج إليه عامتنا الآن، فنحن بعد أن طال بنا المدى، واستعجمت الألسنة نحتاج إلى تفسير أكثر إطالة، وأكثر إطنابًا من التفسير الذي احتاج إليه سلفنا الأول.

ومع أن سلفنا الأول احتاج إلى قليل من التفسير لسلامة قريحته وصدق بديهته إلا أننا نستيقن من أن النبي ﷺ استوعب الحقائق الشرعية التي جدّت في اللغة وما كان للعرب وإن كانوا أهل لغة وبيان عهد به فمثلاً : التيمم أو الصلاة أو الزكاة أو الجهاد أو السلم، هذه الكلمات التي وردت في القرآن الكريم وهي تعني مفاهيم جديدة لا عهد للبيئة العربية بها كان لابد أن تفهم على حقيقتها فهمًا كاملاً في السنة المطهرة ونحن ملزمون بأخذ هذه الحقائق الشرعية أخذًا كاملاً، ولا نستطيع التصرف في فهم هذه الحقائق خصوصًا وأن أغلبها جاء عن طريق السنن المتواترة .

---

(١) عقدت في مساء الثلاثاء ١٠ ذي القعدة ١٣٨٣ هـ الموافق ٢٤ يوليو ١٩٦٤م.

لكن هنـاك كلمات أو تفسيرات وردت بهـا السنن سـواء كـانت منسوبة إلى النبي ﷺ مباشـرة أي مرفوعـة أو كـانت من أقوال الصحابـة وكانت ممـا لا مجال لـلرأي فيه وهي بهذا تعتبر مما تلقاه الصحابة عن النبي ﷺ .

ويعتبر الحديث في هـذه الناحية في حكم المرفوع فإن كـان موقوفًا على الصحابة في سنده فهل هذه الأحاديث تلزمنا بأن لا نعدو التفاسير التي جاءت بها .

هذا في ظني هو موضوع الندوة:

لابد أن ألجأ إلى الأمثلة كي أتبين الموضوع بدقة، أريد أولاً أن أقول: القرآن الكريم ثـابت بيقين وهو قطعي الدلالـة من ناحيـة ثبوتـه، ولكن السـنن التي فسـرت قد تكون سننًا ظنيـة، وظنيتها هنا تجعلنـا نعتبر ما جاء فيهـا فهمًا يقبل على العين والرأس، ولكنه لا يمنع المعنى القطعي المسند الذي جاء في الكتاب نفسه، ونضرب لهذا الأمثلة:

هل أحاديث الآحـاد التي جاءت فقيدت مطلقًا أو خصصت عامًا تقبل على أن هذا التخصيص وهذا التقييد وهذا البيان لما أجمل هو التفسير الذي لا محيص عنه؟

مثلاً يقول الله تعـالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُـوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾(١) .

كلمة (ظلم) كلمة مطلقة ومعنى الآية واضح في أن الإيمان إذا اختلط بظلم ما فإنه لا يجلب لأصحابه الأمان، إنما يأمن الإنسان على نفسه وعلى مستقبله وحاضره معًا إذا جـرّد إيمانه من المظـالم، فالظلم مرتـع مبتغيه وخيـم، وهو ظلمات يوم القيامـة، هذا هو المعنى المتبادر من الآية، وما توحي به اللغة، فإذا جاء حديث وقيد المطلق وقال لنا: لا، ليس المقصـود بالظلم هنا كـل ظلم، إنما المقصود بـالظلم الشرك، واستشـهد لهذا المعنى بالآيـة الأخرى: ﴿إِنَّ الشِّـرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيـمٌ﴾(٢) ، هذا حديـث ورد وهو فيمـا أعلم

(١) سورة الأنعام الآية رقم (٨٢) .

(٢) سورة لقمان الآية رقم (١٣) .

حديث صحيح أو على الأقل مقبول[1] .

فهل هذا التفسير الذي جاء يلزم العلماء بأن يقولوا بأن الظلم الذي جاء في الآية لا معنى له إلا الشرك؟

وأستطيع أن أقول: لا ، هو رأي يقبل، لماذا؟

لأن الحديث الذي جاء بهذا الرأي من سنن الآحاد التي تفيد الظن العلمي، وهو وجهة نظر صحيحة في فهم الآية .

لكن لما كان القرآن مقطوعًا به وهو كلام عربي والكلمة العربية في دلالتها الواسعة التي ثبتت أولاً بيقين تعطي هذه المعنى وتعطي غيره كذلك فأنا لا ألتزم بهذا التفسير وحده على أنه كل ما يمكن أن يقال في الآية بل أقبله وأقبل غيره ما دام في نطاق اللغة العربية التي نزل القرآن بها .

قد تكون السنة تخصيصًا لعام مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء**﴾[2]، بيقين أن اليهود والنصارى هنا ليسوا كل يهودي وكل نصراني إنما هم المقاتلون بشهادة السياق فيما بعد ذلك .

والسنن التى بينت أن الذمي له عندنا حقوق وأن الرسول ﷺ خصم لكل من يؤذي ذميًا، فالمهم أن السنن قد تجئ بأمور من التفسير قد تكون تقييدًا أو تخصيصًا أو بيانًا .

وهنا ينظر في هذه التفاسير وتقبل، وقد لا يقبل غيرها أحيانًا وقد تقبل مع غيرها على ضوء السند الذي جاء بالحديث وقيمته، وعلى ضوء المعنى الذي يمكن أن يدل عليه السياق العربي - باعتباره كلامًا عربيًا قبل كل شيء - على هذا الأساس يمكن أن ننظر إلى التفسير الأثري كله، ويمكن اعتباره تفسيرًا فيه حقائق كثيرة ولكنه لا يغلق

(١) الحديث صحيح فقد أخرجه البخاري في ك : الإيمان ، ب: ٢٣، حديث رقم (٣٢)، فتح الباري ١ / ٨٧.
(٢) سورة المائدة جزء من الآية (٥١) .

الأبواب أمام التفسيرات الأخرى التي تحكمها ضوابط اللغة وضوابط تاريخ النزول وتاريخ التشريع وما إلى ذلك .

هنا ندخل في التفاسير الأخرى ونجد أن هذه التفاسير خضعت كثيرًا للبيئة وخضعت كثيرًا لمزاج أصحابها .

فمن كان أديبًا كان تفسيره حاملاً للطابع الأدبي، ومن كان ميالاً للعلم الكوني كان تفسيره مشربًا بالعلم الكوني، وآخر من كتب تفسيرًا في العلم الكوني هو الشيخ طنطاوي جوهري، وفي الحقيقة أن الشيخ الفخر الرازي وأمثاله كالغزالي والزمخشري الذين فسروا، لهم أيضًا مكانتهم كأئمة في الدين واللغة وما إلى ذلك .

فنحن تلامذتهم.. إنما أحب أن أقول.. إنه بعد تجربتنا والمسلم الآن يستفيد من تجارب التاريخ مع الدعوة الإسلامية وما كسبته هذه الدعوة وما خسرته، سواء كان من عمل أصحابها أو من أعدائها أجد أنه من الخير أن يجرد التفسير من الفلسفة ومن الفقه ومن البلاغة ومن العلوم الكونية وأن يبقى التفسير تفسيرًا نفسيًّا أو ذاتيًّا بقدر الاستطاعة بحيث لا نقحم المعارف الأخرى في كتب التفسير إلا ما دعت إليه الضرورة.

وقد انتهت الندوة إلى خلاصة هي:

إن القرآن كتاب الله المعجز الباقي وخير تفسير له هو ما ثبت عن رسول الله ﷺ وما نقل إلينا وصح ثبوته عن رسول الله ﷺ متعلقًا بالقرآن لا مجال لرده، ويجب أن نخضع له، وإن وراء ذلك للعقل المؤمن مجالاً ليدرك في القرآن معاني يشترط فيها ألا تتعارض مع قواعد الدين ولا مع ما ثبت من السنة النبوية.

وتفسير القرآن الكريم يستلزم شروطًا نص عليها العلماء لابد من توافرها فيمن يتعرض لتفسير كتاب الله الحكيم .

* * *

قصص القرآن[1]

وقد افتتحها الأستاذ أحمد حمزة قائلاً:

يزعم بعض الناس أن القصة في القرآن الكريم شيء فني، لا يلتزم صدق الرواية، ولا واقع التاريخ وإنما هي رمز وخيال، فهل يتفق هذا مع قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[2]، نرجو تناول هذا الموضوع بالبحث الشامل تنزيهًا للقرآن من ضلالات المفترين.

وقد شارك فيها الشيخ الغزالي بقوله:

لم تتوافر لكتاب في الوجود دواعي اليقين مثل ما توافرت لهذا القرآن الكريم .

فقد انتقل بالتواتر من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل حتى إننا لنثق أننا نقرأ القرآن بنفس الحروف والكلمات التي استمع إليه النبي ﷺ من جبريل ناقلاً لها عن الله جل جلاله وهذا الكتاب الكريم يتضمن أمرين :

- حقيقة الرسالة.

- ومعالم الدين من عقائد وعبادات ومبادئ أخرى، ويتضمن إلى جانب ذلك تاريخ هذه الرسالة وكيف شقت لنفسها طريقًا في الحياة بين الأتباع الفانين في نصرتها، والخصوم الذين يستميتون في ردها والكيد لها، وكلا الفريقين بذل ما لديه من جهد، فالمؤمنون الواثقون من عقائدهم العاملون لنصرتها يؤدون حق الله عليهم في ذلك، والقرآن الكريم يحكي أنباء تقلبهم في هذه الحياة ومواقف الحكام العتاة والمكذبين الطغاة الذين رفضوا الإيمان بهذه الرسالة وانبروا لتكذيبها ورد أيديهم في أفواهم،

---

(١) انعقدت في مساء الثلاثاء ١٣ جماد الأولى ١٣٨٣هـ الموافق أول أكتوبر ١٩٦٣م.
(٢) سورة النساء جزء من الآية (١٢٢) .

والـذي سـجله القرآن مـن هذه المعـاني إنمـا سـجله لكي يورث بـه اليقين في قلوب المستأخرين بعدما قصّ قصصه عن أحوال الأولين، وهو في هذا إنما يحكي الواقع الذي لاشـك فيه، وعندمـا نرى صفحات القرآن ونتـأمل فيما تضمنتـه السـور نجد أن كلمة الحق اقـترنت بهذا الكتاب اقترانًا مطردًا، فـالله جل شأنه يقول في سـورة النساء: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾(١) وفي سورة الإسراء ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾(٢)، وفي سـورة يوسـف: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾(٣) .

وبين يدي أهل الكهف يقول: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾(٤) .

فالقرآن الكريم ليس كتـاب أمثال أو كتاب أخيلة شـعرية أو كتاب تصورات أدبية على نحو مـا فعل ابن المقفع في كليلة ودمنـة مثلاً إذ أجرى على ألسنة الطيور والدواب بعض الأقـاصيص لكي يستخلص الناس منها أو لكـي ينقل هو على ألسنتها من المعاني مـا يشاء، إنمـا القرآن كتاب وقـائع تمتزج بلحم الناس ودمهم، وتقـوم بها المدن وتنهار وترتفع بها الحضارات وتتلاشى، فإذا قال القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾(٥) فهـذا الكلام يقين، لا يمكن لبشـر أن يشـكك فيـه أو أن يرتاب في صدقه.

وإذا قال: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ(١٠)الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ(١١)فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾(٦) فهذا كلام لا ينبغي أن يكون خيـال شـاعر أو فـن قَصّاص وإنمـا هو من الواقع التاريخي الذي لا يمكن أن ترتقـي إليه شبهة أو يرتفـع إليه ريب ، وكل تشكيك

(١) سورة النساء الآية رقم (١٠٥) .
(٢) سورة الإسراء الآية رقم (١٠٥) .
(٣) سورة يوسف الآية رقم (١١١) .
(٤) سورة الكهف الآية رقم (١٣) .
(٥) سورة البقرة الآية رقم (١٢٧) .
(٦) سورة الفجر الآيات (١٠ ـ ١٢) .

في هذا الكلام إنما هو تكذيب صريح للقرآن الكريم، ومثل هذا التكذيب لا يمكن أن ينسب صاحبه إلى الإيمان أو أن يصدر من مؤمن إطلاقًا، ومن الممكن أن تكون هناك استعارات وتشبيهات وأساليب في البلاغة العربية قد أخذت طريقها إلى إبراز المعاني الإبراز الذي يجعل لها تأثيرًا في النفوس، فإذا قال القرآن مثلاً في وصف الجدار الذي اختبأ تحته الكنز: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾[1] أو إذا وصف الزيت الذي تضيء به الشجرة المذكورة في سورة النور: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[2]، فهذه الأساليب عربية في إبراز المعاني وقد جرت على قواعد مضبوطة حفظها أهل البلاغة وعرفوا أطراف الكلام ما طوى منها وما نشر وما أثبت منها وما حذف، وكيف انساق هذا التعبير على نحو البلاغة في الأداء، فلا صلة له بالكذب، إنما صلته بحسن التعبير وصدقه، وإدخال المعاني في النفوس بأفضل الأساليب وأوضحها، وقد سرت أيضًا هذه اللوثة موضع السؤال من بعض الذين يقرأون الأدب الفرنسي ويظنون أنهم عندما يصفون القرآن بما قد يكون في هذه الآداب فربما وصلوا إلى شيء من آثار بلاغته وهذا شيء بعيد .

قد يوجد في أوربا ما يسمى بالأدب الرمزي، وهو أدب كما تُرجم أيضًا فيه تهويلات بعيدة وأخيلة شاردة تكاد تحس وأنت تتابع صاحبه أو كاتبه أنه لا يحسن تصوير ما في نفسه أو هو يلجأ إلى الأحاجي لأنه لا يريد أن يصرح بما لديه، واللجوء إلى الأحاجي والبعد عن التصريح لا يمكن أن يتطرقا إلى كتاب مثل القرآن الكريم ، لأنه كتاب عقيدة وقانون وتربية .

والتربية لا تتحمل الغموض واللبس، وإنما تقوم على الظهور والبيان، ولذلك كان أول ما نزل من القرآن فيه السور الكبرى ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3]

---

(١) سورة الكهف الآية رقم (٧٧) .

(٢) سورة النور الآية رقم (٣٥) .

(٣) سورة النمل الآية رقم (١) .

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُـدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، ووصف الكتاب بالإبانة موجود في سور كثيرة من القرآن الكريم . كما أن القرآن وهو كتاب تشريع لا يتحمل الأحاجي ولا الغموض ولا اللبس.

إنما تأتي السياقات فيه صريحة حاسمة على أن قياس القرآن الكريم على هذه التراجم شيء مستغرب؛ لأن للأدب العربي أساليبه وطرائقه، ولأن القرآن هو قمة البلاغة العربية ولا يجوز للمرء أن يصل في فهمه للقرآن إلى شيء أبعد مما وصل إليه الذين درسوا الأدب العربي وعرفوا سنن العرب في بيانهم وفي أدائهم، وا لله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وقد خلصت الندوة إلى :

أن كل ما جاء في القرآن صدق وحق وأن نسق القرآن في القصة هو أعلى نسق يتفق مع المقصود من قصصه، وأنه فوق ما يقوله أهل الفن القصصي، فكتاب ا لله فوق كل شيء.

* * *

(١) سورة البقرة الآية رقم (١) .

الحكم بالقوانين الوضعية[١]

وقد افتتحها الأستاذ أحمد حمزة قائلاً:

- نرى كثيرًا من الدول الإسلامية تحكم بقوانين وضعية في الجنايات والمعاملات، وتشترك في تنفيذ قوانين لا تتفق مع تعاليم الإسلام، والله تعالى يقول لنبيه ﷺ ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾[١] .

وقد شارك فيها الشيخ محمد الغزالي بقوله:

-من أسماء الله الحسنى أنه الحكم العدل، فهو يحكم بين عباده فيما ينشب بينهم من خلاف، وفيما يشجر بينهم من خصومات، وهو في شريعته التي أنزلها نظر إلى مصالح الخلق، وحكم باسمه الحسن في هذه القضايا وتلك الخصومات الحُكم الذي لو تحرّى الناس فهمه وإنفاذه لكان خيرًا لهم في الدنيا والآخرة.

ومن ظن أن الله يحكم بغير العدل فقد كفر بالله وأنكر اسمًا من أسمائه الحسنى، ومن حكّم غير الله في شؤون الناس فقد أشرك .

ونحن في فقهنا الإسلامي نعتبر من ضروب الوثنية: استفتاء الناس في الحلال والحرام وتحكيمهم بغير ما أنزل الله فيما يقع بين الناس من شؤون.

حدث أن عدي بن حاتم عندما سمع قول الله جل شأنه يصف النصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢] ، قال عدي: يارسول الله نحن

---

(١) انعقدت هذه الندوة في الساعة السابعة من مساء الثلاثاء ١٢ جماد الآخرة ١٩٨٣هـ الموافق ٢٩ أكتوبر ١٩٦٣م.

(٢) سورة المائدة الآية رقم (٤٨) .

(٣) سورة التوبة الآية رقم (٣١).

ما كنا نعبد الأحبار والرهبان؟

فقال له الرسول ﷺ : ألم تكونوا تسألونهم في شؤون الحلال والحرام فيفتونكم بما يرون، يحلون الحرام ويحرمون الحلال، قال: بلى،

قال ﷺ: فذلك اتخاذهم أربابًا من دون الله[1].

فاتخاذهم أربابًا من دون الله لم يكن بالسجود لهم وعبادتهم بالمعنى المتبادر إلى الأذهان.

وإنما كان تحكيمهم في شؤون الناس وتحكيمهم بغير ما أنزل الله .

إذا قال الله إن الزنا حرام أو إن الربا حرام فقد حكم حكمًا مؤبدًا بأن هذه الأشياء محرمة.

فلا يجوز أبدًا لأحد من الخلق أن يحل ما حرم الله .

لكننا مثلاً نجد القوانين التي نُقلت من المجتمع الأوروبي وطُبقت في مصر والسودان وليبيا والمغرب وطُبقت في أماكن كثيرة لا تتفق مع حكم الله .

فمثلاً الاتصال الجنسي مباح ما دام لا إكراه فيه فلا تتدخل الدولة بعقوبة ما، إذا ما كان هناك تراض بين الطرفين في اقتراف هذه الفاحشة، وهذا معناه أن الزنا حِل، وأن القانون لا دخل له فيه فيكون بصريح العبارة تحليل ما حرم الله ، وهو ضرب من الوثنية أو نوع من الشرك يصادم قوله تعالى: ﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾[2] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، كتاب: تفسير القرآن ، باب: ومن سورة التوبة، والبيهقي في الكبرى ١٠/ ١١٦) وقال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام من حرب وغطيف بن أعين ، والحديث ضعفه الدارقطنى كما نقله الحافظ في التهذيب (٨/ ٢٥١) .

(٢) سورة الأنعام الآية رقم (١١٤).

ولاشـك أن مقتضى إيمـان المؤمن أن يخضـع لأوامر الله وأن يجعلهـا مكان احترامـه وتوقيره وأن يجتهد في إنفاذها سرًّا وعلنًا .

ولا محيص لمؤمن أبدًا إذا أمر الله بشيء أو حكم في شيء أن يهجر أمر ربه أو يدع حكمـه وهو يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾[1] ويقول ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]، فالسـمع والطاعة لما أنزل الله من أحكام هما أمارة اليقين الصحيح وعلامة الإيمان المقبول .

أمّـا أن يقول إنسـان بإزاء هـذا الحكم لا أسمع ولا أطيـع فهو مخـالف بهذا لمقتضى الإيمان يقينًا وهو خارج على حدود الله .

بيد أن الخـروج على حدود الله كأيّ معصيـة يُنظر فيهـا - في رأيي - إلى الملابسات التي تكتنفهـا فليست كل معصيـة تنزلق بصاحبها إلى الكفر، فالمعصيـة أحيانًا قد تكون انهيـارًا في الإرادة الإنسانية، وقـد تكون طيشًا يعـرض للإنسان في سـاعة هوى غالب، فإذا مـا صحا لنفسـه وعـاوده فكره واستيقظ قلبـه ندم على مـا اقترف في جنب الله ، وتـألم لمـا ارتكب من ذنبـه، وقد تعرض المعصيـة لبعض النـاس في حيـاتهم تحت ضغط ظـروف معينـة، كشـهوة جامحـة أو هوى طـائش فيرتكبونهـا ولكنهم لا يرتضونهـا لأنفسـهم ولا يثبتون عليهـا بعد أن تعودهـم اليقظـة، فهذا النوع مـن المعصيـة لا نعتبر الذي يقع فيه كافرًا، إنما نعتبره عاصيًا يوشك أن يتوب، وتنتظر أوبته إلى الله .

وقد يحدث أن بعض الناس في أزمنة متطاولة في التاريخ يحكم بغير ما أنزل الله نظير هوى أوشـهوة موقوتة، أما أن تسـتفيق الأذهان وتحتشد الهمم وتتحفز وتعقد المؤتمرات

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم (٣٦).

(٢) سورة النور الآية رقم (٥١) .

وتدرس وبعد هذا كله يطرح كتاب الله ويجاء بغيره عن بصيرة وعن بينة وعن إدراك، إذا عملنا هذا فقد قررنا بأنفسنا أن نميت حكمًا من أحكام السماء نزل به القرآن وجئنا بحكم آخر من أهواء الناس وجعلناه قانونًا يعتمد .

مثل هذا التصرف لا يمكن أن يكون شرود نفس مؤمنة أخطأها التوفيق يومًا ثم عادت إلى الطريق ولكنه شرود لنفس جاحدة تدرك الحق وترفض الانقياد إليه، وتدرك الباطل وتريد أن تسير في طريقه .

إن إهمال شرائع السماء ووضع أهواء الناس مكانها لكي تحكم بين الناس لا يمكن أن يكون إيمانًا أبدًا .

والحقيقة أن المسلمين في فترة الانهيار التاريخي الذي أصاب حضارتهم قد حدثت بينهم هذه المأساة في نوم من إيمانهم وموت من ضمائرهم .

ولا يمكن لأي فقيه أو لأي مسلم أن يوافق على بقاء هذه الأحكام ولا على الاستمرار في إجرائها بين الناس خصوصًا إذا رأينا النقائض الغريبة التي تقع في هذه الأحكام، والاستهانة التي تجعل الإنسان يرى كأن الشارع الذي وضع هذه الأحكام قصد إلى استباحة الأعراض.

هو مثلاً لا يعطى المرأة حق التصرف في مالها كما تحكي بذلك أحكام القانون المدني إلا إذا بلغت الحادية والعشرين من عمرها، أما فيما يتصل بالعرض فمن حقها أن تتصرف فيه إذا بلغت الثامنة عشرة وإرادتها محترمة، فإذا اتصلت اتصالاً شائنًا بأي مخلوق بعد الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة فهذا حقها.

لكن إذا تصرفت تصرفًا ماليًّا قبل الحادية والعشرين وقف القانون ضدها باعتبار أنه ليس من حقها قانونًا أن تتصرف في مالها .

كأن واضع هذا القانون يرى أن العرض دون المال، وأن الشرف شيء رخيص.

أمـا المال فهـو غـال، وهذا منطق الذيـن يحكمون أوربـا فهم يسـتبيحون الأعراض ويجعلون من غرائـز الدنيا مكانًـا في حضارتهم فكيـف يُنقل هذا القـانون الفاضح لكي يطبق في بلاد تحرم الزنا يقينًا وتجعل الزنا قرينًا لقتل النفس وللشرك با لله(١).

الحقيقـة .. أن هذا القانون لايستقيم مع الحقائق الخُلقيـة، ولا مع الطبائع الدينية ثم هو في تطبيقه في بلادنـا سبب نكبات لاحصر لها ، فمـن الناحية الجنائية لا تزال بلادنا تضرب رقمًا قياسيًّا في جرائم القتل.

وجرائم القتل التي تقع كـان يمكن أن تختصر إلى ١٪ من نسبتها الحالية لو أن القاتل المتعمد يُقتل وهذا حكم الله فإنّ من قتل متعمدًا يُقتل.

إن الاسـتقصاء يطـول عندما نسـتعرض القوانين التي جئ بهـا والتي سـببت مضار كثـيرة لمجتمعنا ورجعت بالعالم الإسـلامي القهقرى وجعلت الحالة الخُلقيـة فيه مضطربة سيئة(٢) .

هناك شيء على عجل يمكن أن يُذكر: وهو أن بعض الناس يقول: من الصعب مثلاً في جريمة الزنـا التي تحدثنا عنها إقامة الحد لأن الشروط التي وضعها الشارع لإقامة الحد صعبـة وتجميع الشهداء والشـرائط التي رأى الفقهاء عن بصـيرة توافرها واستكمالها، لا يمكن أن تتحقق ولذلك فإن إقامة الحد على هذه الصورة ضرب من الخيال.

ولنتجـاوز مناقشـة هذا الكلام مؤقتًـا لنقول: إن الشـارع إذا جعل العقوبـة العظمى للجريمة العظمـى، فهو يجعل عقوبات أخرى لما دون الجريمـة، فلو أتى شخصًا وشخصًا آخر فقـالا وجدنا رجلاً وامـرأة ـ فيما نرى ـ علـى فاحشـة، ولكننا لا نسـتطيع إثباتها قانونًا شـرعيًّا حتى نستكمل النصاب، فما نقول إنهما زنيا، ولكننا نقول: وجدنا اثنين

---

(١) قال تعالى في سورة الفرقـان في صفات عباد الرحمن ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُون .. ﴾ الآية .

(٢) راجـع عن الجريمـة في الغرب (المنهـاج القرآني في التشـريع) د/ عبد السـتار فتح الله سـعيد، ص ٦٦٩، وما بعدها، ط: الأولى ١٤١٣هـ دار الطباعة والنشر الإسلامية .

في فعل فاضح، والفعل يكفي فيه وجود اثنين في حالة لا تليق، وهناك يستطيع القاضي باسم الشـريعة بدل أن يجلد الحدّ مائة أو أن يقتل في حالة الإحصان أن يجلد جلد التعزير وأن يوقع من العقوبات ما يجعل هذه الأمة تُصان من عبث كثير يقع فيها .

إنما الخلاف بين الشـريعة وبين القانون هو في الحل والحرمة؛ لأن القانون لا يرى أن الاتصال الجنسي بين شـخصين يوصف بأنه جريمة إلا إذا كان إكراهًا وإنما تكون العقوبة على الإكراه ، أو كانت المرأة متزوجة وهنا تكون العقوبة لأن المرأة متزوجة وفرّطت في كرامة الزوجية، فإذا جاء الزوج وكان ديوثًا وقال قبلت، انسحب القانون فورًا ورأى ترك الأمر كما هو.

ومعنى هذا.. أن الخلاف أساسي بين نظرة الشريعة إلى الجريمة ونظرة القانون إليها، وعندما تسمى الأمور بأسمائها فيقال هذا حسن وهذا قبيح وهذا حلال أو هذا حرام ثم يوضع هذا في أيدي العابثين فإن الدين يُهدم من أساسه؛ لأن الأساس في الدين أنه أحلّ وحرّم .

وما يجوز لأحد بعد أن يقول الله: هذا حرام، أن يقول: هذا حلال.

فإذا قال حاكم أو محكوم في شيء حرّمه الله: إن هذا حلال فهو مشـرك با لله وكافر با لله، ومثل هذه الأمور لا يمكن بقاؤها في جو إسلامي أبدًا .

وقد خلصت الندوة إلى :

إن الأمة التي تحكم بغير ما أنزل الله ـ جاحدة له ـ تكون كافرة، والأمة التي تقر ما أنزل الله ولا تحكم به تكون ظالمة أو فاسقة، والشريعة الإسلامية شريعة سمحة صالحة لكل زمان ومكان وقد قامت في ظلالها أزهى عصور الحضارة.

وعلى المسلمين في كل بقاع الأرض أن يعملوا بشريعتهم فإن شرع ا لله أقوم للعباد وأصلح لدرء الفساد .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

* * *